بصمات في تاريخ الكويت

رواية رفاق الراية
الحب والموت والحرية

بصمات خالدة

العطـاء، بدرجاته المختلفـة، قيمة إنسـانية عظيمة.. وعندما يصل العطاء الى التضحية بالروح فإنها تجسد القيم الإنسـانية لأنها تعكس سمو النفس، وعلو الهمة، ولأنهـا تجسـد الإيمان المطلـق بأن الحيـاة الحقيقية هي الحيـاة الكريمة وهذه تسـتحق التضـحية بأثمن ما يملكه الإنسـان وهو النفسـ... لقد تجلت جميع هذه القيم الإنسانية النبيلة في ملحمة بطولية أثناء تعرض الكويـت للغزو.. لقد توقـف الزمن عندها ليشـهد هذه الملحمة الإنسـانية النادرة وليشهد عليها أيضاً ليكون بعدها توثيقاً للحدث يسـتهدف إعلاء شأن الوطن وشأن القيم وإعلاء لشـأن الإنسـان والذي هو محور كل ذلك، وتعزيزاً وتدعيماً للقيم الإنسانية النبيلة التي جسدتها التضـحيات العظيمة لأبناء هذا البلد الأمين فقد ارتأى المكتب أن يوثق هذه القيم ضـمن سلسـلة من القصص التي تعكس مآثر وتضحيات أبناء هذا البلد لتظل نافذة للأجيال القادمة يشهدون من خلالها أسمى معاني الإيثار ولينهلوا منها معاني الوفاء والعمل والحياة الكريمة..

تخليد ورعاية

- تكريم الشـهيد عن طريق تخليـد بطولاته ورعاية ذويه رعاية متميزة في الجوانب المادية والمعنوية.

تخليد ورعاية

Tel: 1888101

رواية رفاق الراية

الحب والموت والحرية

رفاق الراية

قصة أحداثها مستمدة من وقائع حرب تحرير الكويت

خلال الفترة

من ٢ أغسطس ١٩٩٠ إلى ٢٦ فبراير ١٩٩١

(شهداء معركة القرين)

حيثيات الاستشهاد مقتبسة من كتاب
الدكتورة / نجاة عبدالقادر الجاسم

بقلم
عبداللطيف الخضر

٩٥٣،٨ الخضر، عبداللطيف
رفاق الراية – الحب والموت والحرية – بقلم: عبداللطيف الخضر – ط٤–
الكويت: مكتب الشهيد ٢٠١٣
١٠٤ ص: ٢١ سم (بصمات في تاريخ الكويت)
١– الشهيد / يوسف جاسر محمد الصالح.
٢– الكويت – تاريخ الاحتلال العراقي (١٩٩٠/٨/٢ – ١٩٩١/٢/٢٦)
أ– العنوان ب – السلسلة ج – مكتب الشهيد الكويت (ناشر)

Depository Number: 2005/00353
ISBN: 99906 - 84 - 04 - 9

بصمات خالدة في تاريخ الكويت

- سيد هادي سيد علوي
- يوسف خضير يوسف علي
- عامر فرج العنزي
- جاسم محمد غلوم
- خليل خير الله البلوشي
- إبراهيم علي صفر
- مبارك علي صفر
- عبدالله مندني
- محمد عثمان الشايع
- حسين علي رضا غلوم
- بدر ناصر العيدان
- خالد أحمد الكندري

« إهـــــــداء »

إلى أرضي الصغيرة....

إلى حبي الكبير....

إلى من يستحق التضحية والعطاء....

« إلى الكويت »

مكتب الشهيد

بصمات في تاريخ الكويت

إن كانت المعاناة والآلام بما يصاحبها من آمال وكبرياء تتفتح أدباً وشـــعراً وفناً، فذلك هو حال الحركة الأدبية والثقافية في دولة الكويت التي انتصرت وجدانياً وأدبياً للتطورات السياسية والإجتماعية والإنسانية التي عاشها العالم العربي منذ منتصف القرن الماضي، مروراً بأشـــهر الاحتلال الصدامي لبلدنا الحبيب الكويت.

ســـجلت الحركة الأدبيـــة والثقافية فـــي بلدنا ظهور أعـــداد كبيرة من العمالقة الرواد والمبدعين الكويتيين الذين تركوا بصمات واضحة في مسيرة العلم والثقافة والفكـــر والفن والأدب، وأجادوا فـــن الكتابة والتعبير شعراً ونثراً.

في مجموعتنا « **بصمات فـي تاريخ الكويت** » أراد مكتب الشهيد أن يسجل للتاريخ فورة غضب الكويتيين على المحتـــل، وإرادة النصر علـــى الغاصب مهما كانت عدته وعديده، والرغبة في الشهادة فداءً للأرض والعرض فعندمـــا تحقق النصـــر وطُرد الغزاة حكـــت اليراعات الكويتية قصص بطولات، ووثّقت معارك شرف وملاحم

شرسة، خاضها ضد المحتل، شبان وشابات بصدور عامرة بعشق الكويت وبقلوب مؤمنة بنصر الله.

« **بصمات في تاريخ الكويت** » تضم باقة من أدب النصر على الاحتلال، وصفحات من الكفاح لتحرير الأرض. وهي هديتنا لأبنائنا وإخواننا من هذا الجيل ومن الأجيال القادمة في بلدنا الكويت، وفي كل مكان من هذا العالم، نبراساً لتصدي الحق وانتصاره على الباطل، وشاهداً على حب الوطن وتقديسه، ووفاءً لمن ضحوا بأرواحهم فداءً للكويت.

الوكيل المساعد

المدير العام لمكتب الشهيد

فاطمه أحمد الأمير

مقدمة

هذه الأحداث التي بين يدي القارئ الكريم واقعية، ومازال بعض أبطالها على قيد الحياة، والبعض الآخر استشهد في سبيل الله ومن أجل الكويت وحريتها.

وكنت دائماً في محاولات مستمرة لتقديم هذه القصة الواقعية إجلالاً وتخليداً لذكرى الشهداء الذين قدموا للكويت أروع أسطورة في المقاومة والنضال. وقد حاولت أن أكون ملتزماً بالتفاصيل الدقيقة وواقعية الأحداث لأن الأدب تاريخ لكفاح وتسجيل لبطولات الشعوب وإنجازاتهم من دفاع عن القيم المثلى.

ولقد كنت شاهداً على هذه الأحداث، وعشت ساعاتها الحاسمة ولحظاتها المريرة ونهاية الغزو الغادر وإشراقة فجر الحرية في سماء الكويت أيضاً.

فأرجو منك أيها القارئ الكريم أن تتابع مسيرة هؤلاء الأبطال حقاً.. هؤلاء الذين حاولت أن أصول نضالهم وبسالتهم بموضوعية وبدقة بعيداً عن الخيال والمبالغة.

أتمنى أن أكون قد حققت ما أهدف إليه من حيث تسجيل الأحداث وبطولة الرجال وأهل الكويت جميعاً من أطفال ونساء وشبان وكبار أيضاً، وهبوا جميعاً حياتهم لحرية الوطن... حرية الكويت.

وحفظ الله لنا وطننا الغالي من كل مكروه، وحفظ لنا أميرنا... وولي عهده الأمين، وعاشت الكويت دائماً حرة مستقلة شامخة بين البلاد.

المؤلف

(مدخل)

لم يكن من الممكن أن يتصور أحد ما وصلت إليه الكويت في فجر الخميس الدامي في الثاني من أغسطس عام ١٩٩٠م.

كانت كارثة حقاً لا يمكن التعبير عنها بالكلمات أو تصوير حجمها وأبعادها المأساوية الرهيبة حيث شاهد العالم كيف احتل بلد عربي في وضح النهار، وصار تحت رحمة نظام غادر اغتال الطيور في سماء الكويت، ودمر البيوت وخرّب الحدائق وأشاع الرعب في قلوب الناس البسطاء الآمنين، والعجب كل العجب في هذا النظام أنه كان يعتبر شقيقاً للكويت في الإسلام والعروبة.

فهل كان من الممكن أن يتوقع الإنسان أن يشاهد هذه الكارثة؟ ولكن.. كيف واجه أهل الكويت هذه المحنة؟

إن الدور النضالي الذي قام به أهل الكويت اعتبر من الملاحم الكبرى للمقاومة والبطولة في تاريخ الكويت.

إني مازلت أذكر كل شيء... كأنه حدث أمس.. كانت أياماً رهيبة.. بشعة.. عشتها بكل تفاصيلها وشاهدت دماء الأطفال.. وجثث الموتى.. والعربات المصفحة في كل مكان تسد الطرق، وتفتش المارة وتعتقل الشبان من الطريق العام والبيوت.

أنا جمال إبراهيم البناي.. أعمل في فرقة الإطفاء ولم يكن لي علاقة قبل الغزو بهؤلاء الأبطال الذين سأقص عليكم دورهم البطولي، وأعمالهم الوطنية داخل الكويت. وقد قمت بدور كبير مع هؤلاء الرجال من أبناء الكويت الذين تواجدت معهم في كل معركة

الفصل الثالث

(رجال المقاومة)

من خلال مشاركتي في معركة كيفان، بدأت علاقتي بمجموعة من الرجال الذين كانوا يشاركون في الدفاع عن كيفان

من هؤلاء: عرفت إبراهيم عبد النبي المشعل الذي كان يعمل في القاعدة البحرية بفرقة الضفادع البشرية، وقد التحق بالمعسكر في اليوم الثاني للغزو. وكذلك عرفت الرائد خالد الشطي هذا الرجل الذي سجل مواقف رائعة في المقاومة الكويتية، وقام بدور كبير في الدفاع عن الوطن وكذلك الملازم أول وليد الهدلق والنقيب جمال الخضري وعرفت كذلك مجموعات أخرى وقد لمسوا حماسي الشديد للانضمام إليهم ومواصلة دوري في المقاومة. لذلك كان من الضروري أن أقدم نفسي للرائد خليل بهاويد. وهو أحد الرجال القياديين في المقاومة.

كذلك تعمقت صلتي برجال آخرين منهم المقدم عبدالله المعتوق، وحسن مراد، والعقيد عبدالعزيز البرغش، والعقيد عبدالوهاب العوضي، والعميد جاسم الشهاب، والنقيب رضا التجلي، والنقيب طارق المدلج، وعبدالله عبدالجليل.

هؤلاء جميعاً كانوا نواة رجال المقاومة الذين وقفوا بقوة وجسارة يدافعون عن حقهم في الحياة والحرية والعدالة، وكلهم ينتمون إلى الجيش الكويتي المقدام.

وفي اللقاء الأول مع هؤلاء الرجال وقف القائد خالد الشطي يقول في ثقة والأسى يطل من عينيه:

وحتى الآن مازلت أراهم في أحلامي.. رفاقي هؤلاء الذين وهبوا الوطن دماءهم وحياتهم.

أرى عيونهم التي يطل منها بريق المقاومة الساطع والمتوهج.. وأشاهد في ضوء هذه العيون صورة بلادي صورة الكويت.

حتى أحلامي كانت تجمّل هذه الذكريات ولم أكن أحس بالعذاب.. عذاب القهر.. والاستبداد.. إلا حين نفترق.

لقد مرت سنوات..رفاقي الذين استشهدوا..

وآخرون وقعوا في الأسر..

ولكن متى يعود الأسير؟ متى يعود هؤلاء جميعاً؟

آه كم أشتاق إلى رؤيتهم!!؟

وكم نتعذب لغيابهم!!؟

وذات ليلة قمت من نومي في حال فزع شديد، وسألتني زوجتي:

- جمال.. مابك؟ ماذا جرى؟

قلت لها في أسى:

- مازلت أرى وجوه رفاقي الذين استشهدوا... مازالت وجوههم في داخلي لم تغب عني ولم أنسها قط.

فكرت كثيراً.. في أن أستعيد تلك الذكريات.. ذكريات الحب

والموت والمقاومة.. لعل في الذكرى بعض شفاء لجروحي. وكم من ذكريات عشناها.. معاً.. قلباً واحداً وروحاً واحدة.

آه ما أقسى الإنسان حين يغدر!!.. ما أقساه حين يتجرد من مشاعر الإنسانية.

تذكرت كيف قاومت بلادي عبر التاريخ تسلط الغزاة وجبروت المستبدين.. أجل، ظلت راية بلادي مرفوعة دائماً في السماء تضيء بنجمات الحرية، وتحلق حولها طيور السلام..

تذكرت أيضاً تلك الأيام، والأشهر التي عشتها مع أبطال ورفاق الراية، في ظل الاحتلال الغاشم.. كنا لا ننام.. ولا يغمض لنا جفن حتى نحقق بعض الخطط والأعمال الوطنية من مقاومة وتهريب أسلحة أو تفجير شاحنات غازية على الطريق العام.

مازالت الذكريات تؤرقني...

لقد عشت مع مجموعة من الأبطال حقاً.. كنا لا نبالي بما سيحدث لنا، عاهدنا الله والوطن على النضال والمقاومة ورد البسمة إلى بلادنا.. إلى وجهها الحزين.

لا أدري.. فبعد هذه السنوات التي زادت على العشر، مازلت أرى وجوه الرفاق مشرقة باسمة تطل من عالم الشهداء، لتؤكد أن رجال الكويت هم حقاً أبطالها الأشداء الأقوياء المناضلون، الذين ضحوا بكل شيء من أجل عودة الحق إلى بلادهم...

وجوه كثيرة مازلت أراها في منامي.. وحكايات كثيرة لابد أن أكتبها وأسجلها ليقرأ أبنائي وأحفادي ماذا قدم الأجداد للكويت؟ وكيف دافعوا عنها وافتدوها بكل رخيص وغال؟

كتابتي هذه ليست من نسيج الخيال وإنما هي أحداث واقعية شاركت فيها وعشتها، وشعرت بمرارة المواقف ومأساة الناس من حولي.

ولذلك قررت أن أسجل وأكتب..

قصتي وقصة «رفاق الراية» هؤلاء الذين شاركت معهم في عمليات المقاومة ورأيتهم يتساقطون أمامي شهداء تسيل دماؤهم الزاكية لتروي أرض الكويت..

الفصل الأول

بدأت أتذكر رفاق الراية..مجموعات كثيرة وخلايا ونظاماً قائماً بذاته ورجالاً أقسموا على تحرير أرضهم وإبقاء راية الكويت خفاقة دائماً.

تذكرت من خلال تأملاتي في تلك السنوات التي مرت، رجال المقاومة حيث كانوا في مجموعات: منها مجموعة الروضة، والمسيلة، و٢٥ فبراير، وخلية القرين بالإضافة إلى خلايا أخرى.

هؤلاء جميعاً لهم إنجازات لا يمكن حصرها، فلا يمكنك إطلاقاً أن تعد أو تحصي جهودك الوطنية تجاه بلدك.

حين يحاصرك الغاصب... حين يمر الخنجر فوق عنقك وتنزف الدماء.. فلا مجال سوى الموت والنضال.

لذلك قام هؤلاء الرجال بمواقف شجاعة نادرة تحدث عنها الجميع في كل مكان. وهم الذين أكدوا للعالم أن صوت الكويت الحر مازال يدوي في الآفاق، ويعلن أن هناك فوق هذه الأرض مقاومة تشق ظلام الليل، وتتحدى.. وتؤكد أن طائر الحرية في سماء الكويت سيظل يحلق مهما نزفت منه الدماء الغزيرة.

كانت بلادنا موجودة.. ولاتزال.

كان شعبنا موجوداً ولايزال.. فلم الخوف والتراجع والانكسار؟

كان علينا جميعاً أن نعيد التفاؤل والأمل للقلوب الحزينة والدموع المتدفقة، فكانت هذه الخلايا وتلك المجموعات التي سجلت أروع

معاني التحدي والمقاومة.

أتذكر الآن كل لحظة..

وأتذكر كل ما حدث في بداية اليوم الثاني من أغسطس، لم أكن أتوقع أن يحدث شيء غير عادي في هذا اليوم.. صحوت لصلاة الفجر.

وتطلعت من خلف زجاج نافذتي وشاهدت بعض المارة يتوجهون إلى المسجد ودعاء الآذان يغمر القلوب بالحب والرحمة.

توجهت إلى المسجد والتقيت مجموعة من الأصدقاء وتحدثنا في أمور كثيرة، ولكن أحد الشبان اقترب مني وقال وقد ارتسمت على وجهه إمارات الخوف والدهشة:

- لقد حدثني أخي من أمريكا قبل خمس دقائق وقال إن العراقيين يهاجمون الكويت عند الحدود.. نظرنا إليه في استنكار..

ثم ضحكنا وقلنا له:

- لابد أن أخاك كان يحلم حلماً مزعجاً. دعونا نعد إلى النوم فلدينا أعمال في الصباح.

وضحك الجميع في سخرية..

وعدنا إلى البيت..

ولكن..!!!

في الصباح انطلقت بسيارتي متوجهاً إلى عملي... ولكن ما هذا؟ ماذا أرى؟ ماذا أشاهد؟ حشوداً عسكرية في كل مكان!! جنوداً يقفون أمام المباني ودواوين الحكومة..

تذكرت النبأ الذي سمعته من الشاب أمام المسجد نقلاً عن أخيه الذي تحدث مع من أمريكا، وبدأت أستعيد كلمات الشاب مرة أخرى.

- حشود عسكرية تتجه إلى الكويت.

- التلفاز الأمريكي يعرض صوراً لهذه الحشود عند الجهراء.

لقد كنا نضحك حقاً..

لأننا لم نكن نصدق أن الدم العربي يقاتل نفسه.. وأن القلب يطعن لحمه.. وأن الروح تغتال ذاتها.. ومازلت أرى الحشود.. والجنود في كل مكان وعدت مرة أخرى..

عدت إلى البيت، وتلقيت نداء عبر الهاتف بأن أتوجه إلى مخفر كيفان.. وكانت تلك البداية..

بداية رحلة النضال مع «رفاق الراية».

الفصل الثاني

(معركة كيفان)

لقد استطاعت جيوش الغزاة أن تسيطر على أرض الكويت بعد معارك عنيفة في كل مكان، حيث تقدمت مجموعات منها إلى مناطق الكويت، وكانت منطقة كيفان إحدى العلامات البارزة في الكفاح ضد هذا الغاصب.

فقد أسرعت للالتحاق بمخفر كيفان عندما علمت بما يحدث هناك.. لم يكن معي سلاح، ولكن أحد الأصدقاء أكد أنه إذا التحقت بالرجال هناك سأتسلم سلاحاً.

وأسرعت إلى هناك لأشاهد صوراً من المقاومة، تجسدت في أهل كيفان، تساندهم وحدات من الجيش الكويتي، ومن الرجال والشبان الذين قرروا أن يقاوموا.

وتسلمت سلاحي من أحد الرجال هناك، ووقفت معهم أصدّ تلك الهجمات العنيفة عن أرضي وبلدي. شاهدت الجنود يحاولون حصارنا من كل الجهات، ولكن أفراد الجيش وأهل كيفان لم يتراجعوا.. ظلوا صابرين في جرأة وبسالة يدافعون عن أراضيهم وبيوتهم وأولادهم.

تحول المكان إلى حرائق وشهداء ودماء.. شاهدت أهالي كيفان يطلقون الرصاص من خلف النوافذ ومن وراء الأسوار ومن خلف الأشجار والبيوت.

كنا نأمل أن يتراجع الجنود بعد الإصابات الكثيرة التي لحقت بهم، ولكنهم كانوا في ازدياد كأنهم يحاربون قوات كبيرة من الجيش.

أما الفتيان والفتيات الكويتيات في كيفان فكانوا يساهمون في حمل الجرحى ومحاولات إسعافهم بالطرق المتاحة.

كنت أطلق الرصاص وأتخيل أن الجنود الغزاة سينسحبون ويتراجعون ويخرجون من الكويت، ولكن سقطت منا مجموعة جرحى وآخرون استشهدوا على أرض كيفان وهم يحاربون.

وقفنا جميعاً ندافع عن كيفان...

كانت الحشود العسكرية قد انتشرت في كل أنحاء الكويت، وتسللوا جميعاً في كل المناطق المهمة داخل البلد، ثم بدأت بعض العربات المصفحة في اقتحام أحياء الكويت والسيطرة على المناطق والشوارع.

كانوا يقفون جميعاً خارج كيفان.. يحاولون اقتحامها، ولكننا قررنا أن نردهم ونقاتلهم وربما كانت تلك هي البداية في دحرهم وهزيمتهم.

تسلمت بندقية من مجموعات الرفاق في مخفر كيفان وبدأت بإطلاق الرصاص على الحشود الغازية من الجنود والعربات، وشعرت بحماس شديد في نفوس الرفاق، وعزيمة قوية ووطنية عميقة للمقاومة والدفاع حتى الموت.

وعندما كان جنود العدو يزدادون حولنا ويحاصرون كيفان كان بعضنا يتطلع إلى وجود البعض الآخر، ونقرر جميعاً عدم الاستسلام

صرخت فجأة وقلت لهم:

- فلنرفع علم الكويت فوق المبنى..

وعلى الفور تسلل أحد الرجال ورفع العلم شعرنا بالفخر.. وواصلنا القتال والمقاومة..

وعرفت خليل بهاويد... إنه هذا الرجل الشجاع.

- كان يوزع السلاح ويوجه الرجال، ويتحرك من مكان إلى آخر، ويبث العزم في نفوسنا ويقول بصوته الحماسي:

- يا رجال الكويت ستظل راية الكويت ترفرف في السماء.. قاوموا.. قاوموا.. لا تبخلوا على الكويت بالروح والدم والقلب.

كنا نسمع هذه الكلمات ونطلق الرصاص وندافع بقوة..

حاصرتنا دبابات العدو.. وأعداد كثيرة من الجنود..

واستطاعوا أن يقتحموا كيفان..

فكان علينا أن نخرج من منطقة كيفان..

وعندما هممت بالخروج لمحت علم الكويت لايزال فوق المبنى يرفرف عالياً..

الفصل الثالث

(رجال المقاومة)

من خلال مشاركتي في معركة كيفان، بدأت علاقتي بمجموعة من الرجال الذين كانوا يشاركون في الدفاع عن كيفان

من هؤلاء: عرفت إبراهيم عبد النبي المشعل الذي كان يعمل في القاعدة البحرية بفرقة الضفادع البشرية، وقد التحق بالمعسكر في اليوم الثاني للغزو. وكذلك عرفت الرائد خالد الشطي هذا الرجل الذي سجل مواقف رائعة في المقاومة الكويتية، وقام بدور كبير في الدفاع عن الوطن وكذلك الملازم أول وليد الهدلق والنقيب جمال الخضري وعرفت كذلك مجموعات أخرى وقد لمسوا حماسي الشديد للانضمام إليهم ومواصلة دوري في المقاومة. لذلك كان من الضروري أن أقدم نفسي للرائد خليل بهاويد. وهو أحد الرجال القياديين في المقاومة.

كذلك تعمقت صلتي برجال آخرين منهم المقدم عبدالله المعتوق، وحسن مراد، والعقيد عبدالعزيز البرغش، والعقيد عبدالوهاب العوضي، والعميد جاسم الشهاب، والنقيب رضا التجلي، والنقيب طارق المدلج، وعبدالله عبدالجليل.

هؤلاء جميعاً كانوا نواة رجال المقاومة الذين وقفوا بقوة وجسارة يدافعون عن حقهم في الحياة والحرية والعدالة، وكلهم ينتمون إلى الجيش الكويتي المقدام.

وفي اللقاء الأول مع هؤلاء الرجال وقف القائد خالد الشطي يقول في ثقة والأسى يطل من عينيه:

- نحن نواجه محنة خطرة.. بلادنا احتلت.. اغتصبت.. وأصبحت أرضاً محتلة.. المحلات سُرقت.. البيوت خربت.. والمدارس والمصانع دمرت.. والأرض تئن تحت أقدام الجنود الغزاة.

لقد ظللنا ندافع في كل مكان من الجهراء حتى كيفان.. والشباب يسقطون في دمائهم شهداء.

وقد رأيتم كيف وقفنا في كيفان ودافعنا وقررنا أن نموت من أجل الكويت، بل ورفعنا راية الكويت برغم كل شيء.

عاد يتأمل فراغ الغرفة ثم قال وعيناه تحملقان في وجوهنا بعزم وثبات:

- سنظل ندافع يا رجال.. سنظل ندافع، وقد شاهدتم كيف وقفت كيفان وأهل كيفان في مواجهة الغزو.. إن هدفنا يمنحنا الثقة في رجالنا وشبابنا، ولن نتراجع...

لقد صمدت كيفان حقاً في مواجهة العدو.. شاهدت كيف كان الرجال يقاومون بشجاعة ولا يهابون الموت.. إنها الكويت تسقط في براثن الاحتلال، هل كان من الممكن أن يصدق المرء بأن بلداً عربياً يهاجم بلداً عربياً آخر مثله؟

هل كان من الممكن أن يتقاتل الدم العربي مع ذاته، ويغتال الشقيق الشقيق؟ إنها كارثة حقا..!!

كنت أفكر وأتخيل الأهل والناس والأقارب والصلات الاجتماعية بين أهل الكويت والعراق، صلات الدم والرحم والقرابة والصداقة، هذا بالاضافة إلى العمق التاريخي والارتباط المصيري بيننا جميعاً كأمة عربية واحدة.

كنت في لحظات ذهول.. أشارك في اطلاق الرصاص على إنسان عربي مثلي..!! ولكنه جاء يغتصب بلادي.. ويطلق الرصاص على أهلي وقومي وأسرتي وأطفالي..

كنت أتمنى في كل المرات التي واجهت فيها هذا التحدي السافر، أن تكون تلك الرصاصات موجهة إلى صدر العدو الإسرائيلي.

وأتذكر بأسى تلك الكلمات التي قرأتها في إحدى الصحف عن الشاعر الإسرائيلي الذي قال:

- دعهم يقتل بعضهم بعضاً.. لعلنا نتخلص منهم جميعاً، إن هذه الحرب العراقية الكويتية تدعم موقف إسرائيل.

إنهم هناك في إسرائيل يشعرون بالبهجة لهذا القتال بين العربي والعربي.. دمعت عيناي وأنا أشاهد زملائي يصابون برصاصات الغدر والخيانة.

ظللنا في منطقة كيفان نحاربهم من خلف الأسوار وخلف الجدران ومن نوافذ البيوت، بل إننا في لحظة رفعنا راية الكويت فوق أحد البيوت العالية.

وظلت الدبابات تطلق القنابل لتسقط الراية ولكنها لم تسقط أبدا. إنها رمز لروح الكويت الباسلة المناضلة.

ولكن ماذا حدث بعد معركة كيفان؟

الفصل الرابع

(العمل الوطني)

بعد هذا الموقف مع القائد خالد الشطي فاض في داخلنا الحماس.. وشحذت عزائمنا، وشعرنا أن نور الحرية سيبزغ قريباً، ولن يطول هذا الاحتلال.

أعلن القائد خالد الشطي بداية العمل الوطني في صورة مجموعات منتظمة، وأكدنا له جميعاً أننا وهبنا أرواحنا للكويت.

بدأ القائد خالد الشطي يوجه تعليماته ويضع الخطط للمقاومة ويقول:

- في اليوم السابع للغزو تلقيت مكالمة هاتفية من أحد رجال المقاومة وتوجهت إلى منطقة الروضة، والتقيت هناك برجال عاهدوا الله على أن يستمروا معنا حتى آخر قطرة من دمائهم.

أخبرني العقيد محمد الحرمي المسئول عن منطقة الروضة، بأنه تم توزيع ضباط الجيش الكويتي على جميع مناطق الكويت.

وأوضح القائد خالد الشطي كيف ناقش الخطط مع العسكريين والمدنيين في شأن وسائل المقاومة، وكيف تم التنسيق بين المجموعات المتعددة، وعرفت من الرجال الحاضرين معنا الرائد خليل بهاويد والملازم أول وليد الهدلق والنقيب جمال الخضري، وطارق المدلج، وإياد السبتي، وإبراهيم المشعل، وفيصل الهاجري، وأنا جمال إبراهيم البناي بفرقة الإطفاء.

عاد الرائد خالد الشطي يكرر:

- لا بد أن تظل راية الكويت عالية دائماً، فقمت على الفور واتجهت إلى إحدى الغرف وأخرجت علم الكويت، واتجهت إلى خالد الشطي قائلاً:

- اعلن باسم الله وباسم أرضنا وشعبنا أن هذه الراية ستظل ترفرف في السماء.. سماء الحرية.

وتناول خالد الشطي الراية وقبّلها في حب عميق وقال:

- نحن رجال الكويت.. رجال المقاومة، وما دام علم الكويت بين أيدينا.. هذه الراية ترمز إلى حرية الكويت.. فما رأيكم لو نطلق على أنفسنا اسم: (رفاق الراية).

ثم عاد يفسر ذلك ويقول بفخر:

- إن راية الوطن لابد أن تعود خفاقة في سماء الكويت.. لابد يا إخواني.. إنها رمز سيادتنا واستقلالنا.

علينا أن ندافع.. نموت لتحيا الكويت.

وهتفنا جميعاً في صوت واحد:

- بالروح والدم نفديك يا كويت.

ثم عاد خالد الشطي يؤكد قائلاً:

- نحن يد واحدة.. وروح واحدة من أجل الكويت، ولابد أن يعرف العالم أننا هنا باقون في أرضنا، ولن نهزم أبداً، لن نموت إلا دفاعاً عن حريتنا وسيادتنا. وستظل راية اكويت دائماً في سماء

الحرية تخفق في زهو وكبرياء.

- نموت وتحيا الكويت.. نموت وتحيا الكويت.

قال خالد الشطي مرة أخرى والدموع تترقرق في عينيه:

- لقد شاهدنا كيف ساد الخراب في الكويت، وكيف أصيب الأطفال والنساء والشباب بصدمة نفسية سيئة، ولابد أن نرد لهم الأمل، ويعرفوا أن في داخل الكويت رجالاً قرروا الاستشهاد، لابد أن نقدم القدوة والمثل الأعلى في التضحية والفداء.

هناك شعوب كثيرة ظلت تكافح سنوات وسنوات، لم تتوقف إلا عندما انتزعت حريتها وحقها من جبروت الغزاة.

ونحن لسنا أقل من هؤلاء..

ثم رفع خالد الشطي راية الكويت لترفرف في الفضاء..

وبدأ «رفاق الراية» في تنسيق شامل لخطط المقاومة داخل أرض الكويت، كنت قد قرأت كثيراً عن تلك الشعوب التي خاضت تجارب المقاومة ضد الغزاة المحتلين، واشتد اعجابي للأبطال الذين يستشهدون ببسالة من أجل ثرى الوطن.

إن شعوباً كثيرة تعرضت لأزمات صعبة، استطاعت أن تخترقها وتتجاوزها بالإرادة والوطنية والتضحية والبطولة، وقد شعرت بكل هذه المعانِ من خلال موقف الرجال حولي، هؤلاء الذين انضممت إليهم وعاهدت الله وعاهدتهم على النضال من أجل الكويت، حتى آخر قطرة من دمي.

شعوب عربية وأجنبية عاشت هذه التجربة في بدايات التحرر من الاستعمار الأجنبي، وناضلت ضد القهر والعبودية واستردت حريتها وأرضها.

شعرت أيضاً أن «رفاق الراية» قد تناسوا كل شيء في حياتهم، ووهبوا عمرهم وأرواحهم فداء للكويت.

كان هدفنا الوحيد هو تحرير الكويت.. عودة الشرعية والحق، وأن تعود الكويت إلى أهلها.

كنا نستمع إلى بعض الإذاعات العربية التي تشاركنا وتؤيد قضيتنا وتساند الحق الكويتي، فكنا نشعر أننا لسنا وحدنا في القتال.

كانت القصص والأناشيد الوطنية والكلمات الحماسية والمقالات الثورية تبعث في عزائمنا الهمة والقتال.. ولكن برغم مأساة الموقف، ومهزلة ما يحدث في العالم العربي، ظللنا جميعاً قلباً واحداً وروحاً واحدة داخل أرض الكويت.

نقاوم.. ونقاوم.. ونعلن للعالم أننا شعب باق على أرضه ولن نفرط في أرضنا وهويتنا وقوميتنا.

كانت صرخة القائد خالد الشطي دائماً:

«سنقاوم حتى نموت على أرض الكويت».

لذلك تعهدت كل المجموعات بأن تقاوم لآخر قطرة دم في عروقها.

الفصل الخامس

(من أجل الكويت)

اهتزت كل جوارحي..

ارتجفت أهداف روحي.. وتمردت كل خلجاتي كلما تذكرت الرائد خالد الشطي في نهاية حديثه ينظر إلى راية الكويت وهو يرفعها عالياً ونحن نهتف:

- نموت وتحيا الكويت.

لقد عقدت هذه المجموعات العزم على الاستمرار في النضال والمقاومة من أجل الكويت.

فهناك مجموعة المسيلة بقيادة سيد هادي العلوي، التي قررت أن تكون معنا نحن «رفاق الراية» ثم مجموعة ٢٥ فبراير التي كان يتولى قيادتها نوري العلوي والتي تأثرت كثيراً بفكرة «رفاق الراية» فأطلقوا على أنفسهم الإسم نفسه.

كان موقفاً مؤثراً في الاخرين إلى درجة كبيرة، وأصبح عددنا يتراوح ما بين خمسين مناضلاً إلى ستين، ثم من خلال جهود الرجال تكونت خلايا مرة أخرى في مناطق صباح السالم وخيطان والسرة والشويخ ، وقد اتخذ هؤلاء الروضة مقراً لهم، وعلى الرغم من أن مركز القيادة كان يتغير من مكان إلى آخر، لظروف أمنية ولا سيما بعد أن انتشرت القوات الغازية في كل مكان داخل الكويت.

لم يكن العالم العربي نفسه يعتقد أن يتم ذلك بسرعة عجيبة، كأن خطة الغزو ليست وليدة الظروف السياسية الأخيرة، وإنما قد أعد لها منذ فترة طويلة.

الصدمة التي أذهلت العالم العربي لم تؤثر في عزائم أهل الكويت فقد كانت هناك روح متمردة دائما ضد الغزاة.

ومن غرائب المواقف أن بعض الجنود الذين احتلوا منطقة الجهراء كانوا يطرقون أبواب أهل الجهراء يستجدون منهم الخبز والطعام والماء ويلعنون قائد هذا النظام الذي طعن العروبة والأخوة في قلبها.

انتشر الجنود الغزاة في كل مكان ولا يدري أحد ماذا يريدون؟ لا أحد يعرف..! ولا هم يعرفون، كانوا حثالة منهارة من بقايا نظام الإرهاب والاستبداد. وكنا في الواقع نرثو لحالهم، وللموقف المخزي الذي هم فيه.

انتشروا سريعاً، وكانوا كالجراد الذي ينقض على الأرض الخضراء فيلتهمها ويتركها صحراء جرداء. بدأ الجنود في الأيام الأولى بالتمركز داخل مناطق الكويت ثم تسللوا إلى البيوت يسلبون منها الأجهزة الكهربائية والسيارات والأشياء الثمينة.

كذلك داهموا متاجر الذهب والجمعيات التعاونية، وكان الجندي الغاشم يقتحم المكان شاهراً سلاحه، فلا يقف أمامه أحد من الناس العزل. ينهب ما يريد ثم يمضي إلى جهة أخرى، وكانت سرقة السيارات أمراً شائعاً في الشوارع ومن أمام البيوت وأمام أعين أصحاب السيارات.

شيء لا يصدق إطلاقاً.

أن يطرق الجندي بابك ويقول بكل وقاحة وصفاقة:

- نحن نريد هذه السيارة.

أو يقتحم البيوت بحجة البحث عن أفراد المقاومة، ويغتصب الأشياء الثمينة من الذهب والأجهزة أو ما يحلو له من المقتنيات.

كانت عملية سرقة كبرى.. حيث شاهدت الشاحنات الضخمة تحمل أجهزة التكييف والأثاث الثمين والأجهزة الكهربائية والثلاجات وأجهزة الكمبيوتر وتتجه إلى الشمال.

هل هذا غزو أم سرقة وطن؟

إن الغزاة الأجانب لم يقترفوا هذه المخاذل على أرض العرب، ولكن الغزاة العرب أشاعوا الرعب والدمار، وسلبوا ممتلكات أبناء الوطن وهربوا بها إلى بلادهم..

إنها جريمة ملطخة بالعار والخزي. ولذلك كنا في حرص شديد عند مواجهة هذا العدو.

كنا في حذر شديد أيضاً، ولذا صدر قرار بانتقال مقر القيادة إلى منزل وليد الهدلق وهو بالطبع أحد رجال «رفاق الراية».

كان خليل بهاويد يفضل الانتقال إلى منطقة السرة في منزل عادل الرفاعي، لأن منزل وليد الهدلق تقيم فيه أسرته، وقد يؤدي هذا إلى الإضرار بهم.

وتمت الموافقة.

أقمنا عدة أيام في منزل عادل الرفاعي، برغم أنه لم يكن من «رفاق الراية» ولكنه من أبناء الكويت الذين سخروا أنفسهم وطاقاتهم في تلك المرحلة من المحنة القاتلة من أجل الكويت، الكل بلا استثناء كان مستعداً لتقديم أي شيء من أجل الكويت.

بعد بقائنا أياماً عدة في منزل عادل الرفاعي، علمنا أن هناك حشوداً ضخمة من جنود العدو تزداد في المنطقة، فانتقلنا إلى منزل فيصل الهاجري في غرب الفنطاس.

تزايد عدد الشبان الذين يريدون الانضمام إلينا، والمشاركة في العمليات ضد الغزاة، كنا عبارة عن خلايا تتكون من عشرة مناضلين أو خمسة عشر، وتوالى انضمام الشبان إلينا بكثرة.

في خلال تلك الأيام انضم إلينا طلال سلطان الهزاع وأحمد الصيدلي، وكانت القيادة عندنا تعقد اجتماعات يومية بعد المغرب مع رؤساء الخلايا.

وفي أثناء الاجتماع يقوم رئيس كل خلية بتوضيح وشرح نشاط أفراد الخلية، وإعطاء التعليمات الضرورية حيث ترسل هذه المعلومات إلى القيادة ومنها إلى الحكومة الكويتية في الطائف.

فالمجموعة أو «رفاق الراية» كان عددهم كبيراً جداً وأعمالهم متنوعة بمختلف الأسلحة والخطط التي ينفذونها، أما الخلية فهي عبارة جماعة صغيرة تعتمد على الرفاق الذين يمدونهم بالسلاح والخطط لينفذوها. وهنا يأتي رئيس الخلية إلى الرفاق، ويكشف

عن أعمال الخلية ويتلقى الأوامر والخطط من الرفاق ليعود إلى خليته لتنفيذها.

كنا دائماً نحن «رفاق الراية» في تواصل مستمر مع الخلايا الأخرى نناقش في اجتماعنا كيف يمكن إحداث خسائر جسيمة في صفوف العدو الغاشم.

وبصدق كانت هناك عمليات أخرى فدائية نسمع عنها يقوم بها بعض شبان الكويت، ولا شك أننا جميعاً عرفنا «البطل» هذا الشاب الكويتي الذي اقتحم الجنود بيته وأطلقوا النار على أسرته، واستطاع البطل أن يهرب من الجنود واختفى عدة أيام، ثم حمل رشاشاً آلياً وقاد شاحنة معبأة بالمتفجرات اقتحم بها أحد الأماكن في منطقة الجهراء حيث كانت هناك وحدة من الجيش الغازي وانفجرت الشاحنة.. وتناثرت أجساد الجنود أشلاء في كل مكان، واختبأ البطل خلف أحد الجدران وأخذ يطلق الرصاص على الجنود الذي يحاولون الفرار بعيداً عن الانفجار.

استطاع الشاب البطل أن يحصد مجموعة كبيرة من الجنود، وعندما حاول أن يهرب استطاع أحد الجنود أن يطلق عليه الرصاص، وسقط البطل شهيداً على ثرى الكويت.

كانت تلك المواقف حقاً تزيد من إصرارنا على الاستمرار والمقاومة برغم الصعاب والظروف المؤلمة فقد كان شعارنا:

الموت من أجل الكويت...

الشهادة من أجل الكويت...

الفصل السادس

(الحرية والحب والموت)

كنا نناضل من أجل الحرية ونتعاون في حب، ونرحب بالموت في كل لحظة.

كانت حياتنا خلال تلك الفترة صعبة مؤلمة للغاية، لأنه كان علينا مقاومة جنود انتزعت من قلوبهم الرحمة، فكيف نواجه هؤلاء الطغاة قساة القلوب؟.. كنا نؤمن بأن الحرية تتفجر شرارتها من خلال مشاعر الحب والعشق الكبير للوطن.. وحب الوطن يمنح الإنسان القدرة على عناق الموت بسهولة.

لقد استطعنا أن نؤكد للعالم أننا هنا باقون فوق الأرض الكويتية، وسيرحل العدو حتماً، وشعر أهل الكويت الصامدون أن معهم رجالاً يقاومون الأعداء بقوة وعزم، ولذلك فضل بعضهم عدم مغادرة الكويت، لأنهم شعروا بأن الأمل في الحرية سيتحقق كما كانت لهم إسهامات في العمل مع رجال المقاومة.

شعر أهل الكويت بدور المقاومة وسمعوا عن العمليات الفدائية والكوارث والخسائر التي تلحق بقوات الغزو. وكانت هناك فرق من المقاومة تساهم في الأعمال المدنية، حيث تزود الأسر بالطعام والماء والمال، وتدعوهم إلى المشاركة في المجال الاجتماعي مع الأسر الأخرى.

شعارنا جميعاً تشكل في ثلاثة اتجاهات: الحرية والحب والموت..

امتزج الدم بالدم والقلب بالقلب وتحول أهل الكويت إلى فرقة واحدة للمقاومة تؤكد وحدة الهدف الوطني لأهل الكويت... توحد الهدف والكلمة والقلب، كنا قلباً واحداً وصفاً واحداً ينبض بحب الكويت، وكان ذلك في حد ذاته شيئاً رائعاً أحسسناه.. شيئاً تعجز الكلمات عن وصفه.

هكذا كنا جميعاً في الكويت مرتبطين بالأرض، فنحن الجذور والصحراء والبحر الكبير.. كنا لا نبالي بشيء قدر اهتمامنا بتحرير أرضنا.

لم نتوقف قط نحن أفراد المقاومة.. وكذلك الناس العاديون في بيوتهم كانوا يشاركون في المقاومة حين يرفضون فتح بيوتهم للأعداء، ويرفضون أن يغيروا هوياتهم.. وظلوا جميعاً صامدين في وجه تلك المحاولات اليائسة من الجنود الطامعين.

كنا نسمع عن انفجارات هنا وهناك، ونعرف أن بعض جهود فردية تؤدي دورها نحو الوطن. لم يكن هناك حاجة إلى حث الناس على التحدي فكل أهل الكويت تعاونوا معاً، ووقفوا صفاً واحداً في وجه الغزو، كانوا جميعاً أبطالاً في وحدة وطنية واحدة.

من جهة أخرى.. ظلت خلايا المقاومة كلها في نشاط دائم تحقق حلم الحرية، وتواجه الموت في بسالة، وترتبط مع كل وطني بالحب العميق تجاه قضيته وحياته.

ساهم رجال المقاومة في توجيه العمليات بمهارة، لأنهم كانوا

ينتمون إلى الجيش الكويتي، وما زلت أذكر من هؤلاء العقيد محمد الحرمي والمقدم طلال محمد المسلم، والرائد خليل بهاويد، وبالطبع الرائد خالد الشطي.

لقد وجهوا ونفذوا عدة عمليات عسكرية ناجحة ضد القوات الغازية كبدتها خسائر فادحة في الأرواح والمعدات.

وبذل رجال المقاومة جهداً كبيراً في حفظ سرية «رفاق الراية» وجهودهم وهوياتهم، فالاتصالات الهاتفية لم تعد آمنة من المخابرات الغاشمة والوشاة في كل مكان يتلصصون علينا لتحديد وجودنا ويلاحقوننا ....

كنا حقاً نخشى تسرب المعلومات عن أفراد المقاومة، فقد أحكم النظام الغاشم سيطرته على الكويت، ودس جواسيس له في كل مكان، وما أسهل التأثير في بعض الأفراد للعمل لصالح النظام الغاشم.

كانت هناك وعود كثيرة أشاعها النظام الغاشم من خلال وسائل إعلامه عن الرخاء والثراء الذي سوف ينتشر في البلاد، وسوف يزدهر الاقتصاد بعد السيطرة التامة على الكويت واستغلال ثرواتها.

كان من السهل التأثير في بعض الأفراد وشراء نفوسهم بهذه الطريقة.

ورغم ذلك استمرت المقاومة.

واستمر العمل النضالي....

الفصل السابع

(محنة قاسية)

محنة قاسية لم نكن نتوقعها.. برغم أننا كنا على حذر شديد.. فقد وقع في الأسر قائدنا الرائد خالد الشطي..

وكذلك استشهدت مجموعة من الرجال الأبطال وهم إبراهيم عبدالنبي المشعل، ومحمد الرميضين، وخالد الدشتي.

أصابنا الحزن.. واستبد الألم بالقلوب.. ولكننا قررنا الاستمرار في النضال والبحث عن هؤلاء الخونة، الذين اشتراهم العدو بالمال ليؤدوا دوراً مقابل أجر معين.

وانتقل الخبر في كل مكان.. وبدأنا نهدئ من قلقنا ونفكر في توجيه ضربة قاتلة إلى صفوف الأعداء ليعرفوا أننا قوة باقية في مواجهة التعسف والاضطهاد.

كنا ندرك أننا في مأساة حقيقية إن فقدنا أحد القادة، لأن هؤلاء القادة لهم دور حيوي معنا، إذ لديهم خبرة كافية، لانتمائهم إلى الجيش الكويتي، وعلى دراية بفنون الحرب والمقاومة، وكنا نفكر كثيراً في أمر هؤلاء الذين وقعوا في الأسر، فقد كان القائد خالد الشطي يتوقع ذلك حين قال لي ذات يوم:

- إني أعلم بما يدور من حولنا.. هناك عيون ترصدنا وتتابع خطواتنا، إنهم أعوان النظام الغادر.. ولكننا سنقاوم.. ولابد أن نتوقع الموت في كل لحظة إنه الوطن.. الوطن.. هل تدري ما معنى

أن يفقد الإنسان أرضه وبلاده بين عشية وضحاها؟!!

ثم بحزن عميق قال:

- عليكم اختيار القائد الذي يخلفني، لا تتفرقوا إطلاقاً، وهناك قادة من الرجال الشجعان معنا دائماً.

فكر الرجال في هذه الكلمات وبدأ التدبير في اختيار القائد الجديد، فلم يكن هناك إلا القائد خليل بهاويد.

تجمعنا كلنا حول خليل بهاويد، وتسلم من المجموعة راية الكويت وقبّلها في حرارة، وكرر العبارات التي قالها خالد الشطي من قبل:

- نحن أبطال المقاومة ورجال الوطن، وراية الوطن لابد أن تعود ثانية خفاقة في سماء الحرية، وعلينا جميعاً أن ندافع عن رمز الكويت، ندافع بالروح، والدم. ثم قال القائد بهاويد:

- سنحول مقر القيادة إلى القرين، فقد وفر لنا عبدالقدوس أحد المنازل في المنطقة. ثم قال لي:

- وأنت يا جمال سيكون معك خليل البلوشي وطلال الهزاع وأحمد العبدلي ومحمد صفر، ومحمد أشكناني لنقل الأسلحة من غرب الفنطاس إلى منطقة القرين.

إن قائدنا بهاويد لم يكن يعرف أن لنا شباناً يقاومون العدو الغاشم. لأن «رفاق الراية» والخلايا التابعة لنا معروفة لدينا. بسبب اجتماعاتهم معنا وإنهم ينفذون الأوامر التي يتلقونها مع توفير الأسلحة لهم.

أما هؤلاء الشبان فلهم قصة أخرى، وسيعرف القارئ فيما بعد أعمالهم المتميزة في المقاومة.. وكيف تعرف الملازم محمد صفر على الرائد خيل بهاويد قائد الرفاق؟

تم ذلك عندما كان «رفاق الراية» في منطقة السرة حيث التقيا مصادفة في أحد الشوارع وأفصح الملازم صفر عن نشاطه في المقاومة.

أما الرائد خليل فلم يفصح عن شيء - حتى جاء يوم أرسل فيه أحد الأشخاص إلى محمد صفر للقائه، فاصطحبني محمد صفر لمقابلته، لأننا كنا جميعاً نخفي انتماءنا إلى المقاومة حرصاً على أرواحنا من المخابرات الغاشمة وحتى تتم العمليات في سرية تامة.

لم يكن محمد صفر يعلم أن لي علاقة بالرائد بهاويد، وفي أثناء اللقاء طلب القائد التعاون مع محمد صفر في جمع الأسلحة ونقلها. فأخبره محمد صفر بأن أخاه (منصور) وصديقه (جاسم محمد) يمكن أن يقوما بهذه العملية وحدهما.

وقد حدث هذا فعلاً، عندما طلب قائدنا من منصور وجاسم بعد التشاور معهما نقل الأسلحة. حيث كانت عملية نقل الأسلحة تتطلب أفراداً يتميزون بالجرأة وسرعة البديهة، والمعرفة التامة بأماكن تجمع الجنود الطامعين. وفي الحقيقة كانت عمليات تهريب الأسلحة وإخفائها مشكلة خطرة، لأن المقاومة من دون سلاح لن يكون لها دور فعال، إذ كيف تواجه العدو والدبابات والعربات المصفحة والبنادق الآلية وأفرادها عزل من السلاح؟!

هذه المشكلة وجدنا لها الحلول السريعة، حيث تمكنا من تجميع بعض الأسلحة من المخافر في الأسابيع الأولى من الغزو، ثم بدأنا نفكر في الاستيلاء على مخازن الأسلحة بالجهراء والأماكن الأخرى التابعة للجيش الكويتي.

وقد واجهنا مشكلة أخرى، وهي أن بعض أفراد «رفاق الراية» لم تكن لديهم خبرة في استعمال السلاح فاقترح بعضنا أن نختار منطقة نائية في الصحراء، ونقوم بالتدريب فيها حيث يمكن للأفراد إتقان التصويب بدقة ومهارة.

وقد تولى تدريب هؤلاء الأفراد بعض القادة الذين كانوا في الجيش الكويتي والذين لهم خبرة قوية في استعمال السلاح، وقد استطعنا حقاً الإفادة منهم.

تدربنا جميعاً على الأسلحة بجميع أنواعها، وكذلك قيادة العربات المصفحة ومعرفة كيفية التعامل مع القنابل والمتفجرات، وكيف يمكن إعداد القنابل الموقوتة. وكذلك تم اختيار جاسم ومنصور لنقل بعض الأسلحة لخبرتهما في هذا المجال فأصبحا من «رفاق الراية».

الفصل الثامن

(قلب يحترق)

خليل البلوشي.. شخصية جديرة بأن أذكرها من بين «رفاق الراية»، فقد كان يعمل كاتباً في المؤسسة العامة للموانئ بالشويخ. وعندما اجتاحت القوات الغازية أرض الكويت، كان في رحلة صيد، فلجأ إلى جزيرة فيلكا حتى يتبيّن الأحداث. وفي المساء عاد إلى منزله في حال غضب وسخط على ما حدث ولا يدري ماذا يفعل. لقد شاهد الأحداث المدمرة التي حولت نهار الكويت إلى ظلام. ظل في منزله أياماً عدة ثم قرر أن يكسر حدة الصمت والذهول والصدمة التي شلت حركته.

بدأ في الاتصال بالرفاق وتحديد اتجاهاته، وتمنى لو يحصل على سلاح بسرعة ليفرغ رصاصاته في قلب كل جندي غاصب. كان لا يدري ماذا يفعل؟.. وذلك من هول ما حدث على أرض الكويت الحبيبة، لكن حيرته لم تستمر، حيث بدأ نشاطه في مقاومة العدو، وانضم إلى بعض الشبان العاملين في المقاومة، وصار أحد أعضاء مجموعة «صباح السالم».

كان خليل البلوشي على دراية تامة باستعمال السلاح، وله قدرة فائقة على التصويب الدقيق، وكذلك الهجوم على الآليات الغازية.

كان يغيب أياماً عن أهله يمضي لياليه خارج المنزل، بحجة أنه يجلس مع بعض الشبان في الديوانية، قام بجمع الأسلحة ونقلها من منطقة الفروانية إلى منطقة صباح السالم، وكذلك من منطقة الفردوس، كما قام بإعداد الكمائن وتفخيخ السيارات وقنص جنود

الاحتلال على الطرقات السريعة.

لم تكن أسرة خليل تعرف شيئاً عن نشاطه في المقاومة، فقد أخفى هذا الأمر عنهم، وتظاهر أن كل نشاطه يكمن في العمل في أحد المخابز ونقل المواد الغذائية وتوزيعها على الأهالي.

استطاع خليل أن يعمل في سرية تامة، ويبذل جهداً كبيراً في مطاردة الجنود والاستيلاء على السلاح ووضع القنابل في أماكن وجودهم، لقد شعرت بحرقة قلبه، ولمست ألمه الشديد، كان دائماً يردد:

- ستعود الكويت يا إخواني. ستعود ولا تيأسوا..

إن خليل البلوشي أحد هؤلاء الرجال الشجعان، الذين لم يتقاعسوا لحظة عن فداء الوطن. خليل البلوشي نموذج لابن الكويت البار، فقد قال لي:

- كنت أعمل كاتباً في المؤسسة العامة للموانئ وأشاهد السفن الكبيرة التي تأتي بالبضائع، وكنت أتذكر أجدادنا عندما كانوا يقاومون شظف العيش ومرارة الحياة .لقد تحدوا الطبيعة القاسية. كثير منهم قد رحل مع الموج ولم يرجع مرة أخرى، لقد أعطوا الكويت الكثير من التضحية والحب.

كنت يا صديقي أتطلع إلى البحر في شغف، وأقارن حياتنا الآن بالماضي!! نحن علينا أن نعطي لهذا الوطن الكثير، فقد منحنا الخير والأمان والرفاهية، علينا أن نعرف معنى الانتماء للوطن.. للأرض.. للبيت.. للمدرسة.. والعمل والمصنع والمكان.. علينا أن نزرع كل يوم شجرة حباً ووفاء لهذا الوطن.

ولذلك استبد بي الغضب حين شاهدت هول ما حدث، وأسرعت إلى الانضمام إليكم جميعاً، وأنا قوي العزم على التضحية والعطاء الكبير.. إن بحر بلادنا علمنا العطاء من دون حدود.. أليس كذلك؟؟

ما زلت أتذكر كل شيء..

ولا أدري كيف ساهمت في تلك الخطط التي تم تدبيرها في منطقة الروضة بالتعاون مع شبان المقاومة. وما زلت أذكر المواقف الشجاعة التي قام بها أبطال من بينهم: الملازم أول محمد صفر، ومنصور صفر، وجاسم محمد علي، وأحمد العبدلي، وطلال الهزاع. حقاً إن كل هؤلاء هم الأبطال ورفاق الحرية والثورة.

وإن أنسَ فلن أنسى موقف جاسم محمد علي الذي كان يبتسم في مرارة ويقول:

- الكويت البلد الآمنة ذات المآثر الكثيرة في كل مكان تصاب بالخراب والدمار إلى هذا الحد!!

كان حزيناً ومتألماً دائماً، وكان هذا الألم هو الذي دفعه إلى العمل الوطني الجاد والتضحية دائماً.

وقد استطعنا الإفادة من خبرته الجيدة في الجيش الكويتي. فقد قام بتدريب بعض المجموعات على استعمال مختلف الأسلحة النارية، وكيفية إعداد خطط الهجوم والاختفاء، وقد حدد لنا مراكز تجمع جنود العدو ومخازن الذخيرة والسلاح.

كان جاسم محمد علي متفائلاً دائماً ويردد.

إذن يا رفاق، سيشرق فجر الحرية على سماء الكويت.. تذكروا إن هذه محنة ستزول، ويجب علينا أن نكون على ثقة كبيرة باستقلال الكويت وحقها في حريتها، ولن ننتظر المساعدة من الخارج، فسوف نبدأ المقاومة النشطة، ليشاهد العالم كيف يموت أبناء الكويت ورجالها من أجل حريتها، وغداً سنعود نرتشف أكواب الشاي تحت أضواء القمر، ونشاهد أطفالنا يذهبون كل صباح إلى مدارسهم، كما يذهب الشبان إلى وظائفهم، غداً ستبحر مراكب الكويت في البحر الأزرق ساعية للرزق والتعاون والعطاء.

أرجوكم.. نحن لسنا في مأزق أو مأساة مريرة، ولكنها تجربة قاسية نتعلم منها.

لقد كان جاسم محمد علي حتى عام ١٩٨٤م يعمل في الجيش الكويتي، ثم عاد إليه جندياً قبل الاحتلال، وتعرف على قائدنا بهاويد عندما قام بتدريبه في الجيش. ولقد قام جاسم بعدة عمليات فدائية وقنص جنود العدو، بالتعاون مع مجموعة من الشبان، من بينهم منصور علي صفر، ومحمد علي صفر، وكان عددهم يتراوح ما بين ثمانية أبطال وتسعة، وفي شهر سبتمبر أصبح أحد أفرادنا في «رفاق الحرية» في منطقة الروضة بقيادة بهاويد.

لقد قاموا جميعاً بعدة عمليات ناجحة من نقل الأسلحة ورصد تحركات القوات الغازية على الطرق السريعة، ومهاجمة العربات المصفحة وتدبير الكمائن ضد الغزاة.

كذلك قامت مجموعة "صباح السالم" التي كانت تسكن تلك المنطقة بعدة عمليات أخرى كان لها تأثير نفسي مدمر في قوات العدو الغادر.

وقد تزايدت أعداد مجموعة «صباح السالم» التي قامت بتزويد منطقة القرين بالأغذية والأسلحة والمعلومات المهمة، إلى جانب دورها في المقاومة.

وفي أحد الأيام لمحنا عربة "جيب" تخص الجنود الطامعين تقترب، إلا أن (جاسم) تمكن من حمل الأسلحة إلى مقر قيادة «رفاق الراية» من دون أن يلمحه أحد حيث كان هناك من رجالنا منصور علي صفر.

وقام جاسم بجمع الأسلحة منذ الأيام الأولى للاحتلال، وكان يقود السيارة التي تنقل رفاقنا الموكل إليهم نقل الأسلحة ورصد تحركات العدو على الطريق السريع. وقام بعدة عمليات مسلحة ضد القوات الغازية على طريق المغرب السريع وغرب الفنطاس في شهري أكتوبر ونوفمبر. كما قام - بالتعاون معي وطلال الهزاع وإبراهيم صفر وخليل البلوشي - بعدة عمليات ضد العدو على الجسور، ونجا من أخطر الأعمال البطولية التي نفذها بشجاعة.

إن جاسم محمد علي لا ينسى إطلاقاً.. عاش الألم مقاومة.. وحول المرارة إلى جهد ونضال، وحول الحزن إلى أمل وترقب لفجر الحرية.

كان جاسم يردد دائماً:

«لحظات الألم يولد معها الأمل يا أصدقائي..».

الفصل التاسع

(لحظات من الألم)

(التلاحق السريع للعمليات)

انبسطت أسارير العقيد الدوسري عندما وصله نبأ تنفيذ العملية الاستشهادية التي قامت بها الأنسة (ع) بنجاح كبير، بيد أن خبر إعدام أكثر من عشرين كويتياً وكويتية قد ساءه كثيراً، الأمر الذي دفعه لعقد اجتماع عاجل لأفراد مجموعته..

وما أن اجتمع الأبطال حتى طفق يوزع عليهم مهامهم الجديدة قائلاً بنبرة حماسية مشجعة:

- إن التلاحق السريع لعملياتنا الوطنية سيكون له الأثر البالغ في فت عضدهم، وسيجعلهم يفكرون مئة مرة قبل أن يبدؤوا عملاً إجرامياً آخر.

صاح قبازرد في انفعال:

- ليس لنا أن نهون أو نفزع فمن يسقط منا، فإنه سيصعد إلى جنات الخلد، ومن يسقط منهم، فإنه يهوى إلى قاع الجحيم.. فهيا لكي نسوقهم جميعاً إلى جهنم ليقال لهم هناك: بئس المصير.. بئس المصير.

ثم نظر إلى رفاقه وقال:

- استعيذوا بالله من الشيطان الرجيم واذكروا اسم الله ثم ردّدوا ورائي:

﴿وسيق الذين كفروا إلى جهنم زمراً حتى إذا جاؤوها فتحت أبوابها وقال لهم خزنتها ألم يأتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين﴾ صدق الله العظيم.

تهيأ الجميع للانصراف فرادى في حماس منقطع النظير، وكل منهم قد استوعب دوره جيداً، لكن قبل أن يمضوا، سمعوا صوت قائدهم الدوسري يقول:

- سأكون بانتظار تقاريركم المثلجة للصدر أيها الأبطال..

انطلق قبازرد من فوره إلى منطقة «حولي» حسب تعليمات العقيد. وهناك استطاع اصطياد أحد جنود العدو وقتله، وعلى الفور اجتمع الناس لما سمعوا صوت الرصاص فرأوا الجندي الغارق في دمه، فأخذوا يكبرون.

وفي منطقة «الشويخ» وهي مَركز تجاري مهم لكثرة ما به من أسواق تجارية، ومن ثم تعتبر هذه المنطقة عصب الكويت نظراً لوجود محطات كثيرة لتنزيل البضائع ذات الأصناف والأنواع المتباينة الواردة من جميع بلدان العالم.

وبالذات في الوسط استطاع البطل ورفقاؤه أن ينصبوا كميناً لأربع شاحنات كل منها مزودة بمقطورة محملة بما يفوق حمولتها المقررة من قطع غيار السيارات وسلع غذائية منهوبة من أسواق الشويخ. وهي عبارة عن دقيق وقمح وأرز وزيت وسمن..وغيرها، منها ما هو مُعَلّب أو مُصفّح أو مُعَد في أجولة وأكياس.

ولشد ما ضايق البطل وأضجره أنه رأها تتهادى بغير حراسة

فبصق على الأرض وقال:

- إن هذا الصيد ليس ثميناً بقدر ما كنت أتوقع.. أين فريق الحراس.. فريق حراس الشاحنات الملاعين؟!..أنصب كميناً لأحصد منه دقيقاً وقمحاً؟!

رد عليه سمير الناصر:

- هيا يا بطل لنرد إلى أهلنا غذاءهم المسلوب، وارض بما قسمه الله لنا!!

- آه، يا سمير، لقد أفلتوا هذه المرة، لكم كنت أريد رقابهم وصدورهم!!.. خلعت المفاجأة قلوب السائقين الجبناء حين رأوا الأبطال يبرزون لهم ويأمرونهم بالوقوف.. هتف قبازرد آمراً أربعة من رفقائه ومن بينهم صديقه سليمان:

- ارتدوا ملابس هؤلاء السائقين الجبناء وخذوا هذه الشاحنات إلى مخازن المقاومة ثم التفت إلى السائقين المرتعدين وصاح:

- وأنتم.. أبرزوا هوياتكم.

فحص البطل الهويات الأربعة ودقق فيها جيداً، ثم رماها في وجوههم صارخاً:

- آه، أيها الكلاب الضالة المسعورة..!! ثم أضاف مغتاظاً:

أأنتم عراقيون؟! لا، أنتم خونة!! أنا أعرفكم جيداً من لهجتكم.. كل شيء عندكم مباح!.. لا قيمة ولا عرف ولا شرف ولا وطن.. عندكم الغاية تبرر الوسيلة.. من أجل أي شيء كل هذا؟ أم من أجل طبيعتكم المطبوعة على هذه الخيانة؟!

وجاءت حركته التي أنهى بها عباراته الملتهبة قوية وصارخة..

نظر إلى رفيقه سمير وبلهجة حادة ونظرة ملتهبة، وقال:

- ماذا تنتظر؟! هيا أفرغ في صدورهم ورؤوسهم رصاص مسدسك! إنهم كلاب ضالة مسعورة، خانوا شعوبهم!!

على الفور أخرج سمير مسدسه وسرعان ما أفرغه في صدور الخونة الأربعة ثم هرول رفقاؤه ليطمئنوا على سلامة وصول الأغذية المنهوبة إلى مخازنهم..

في اليوم التالي اطّلع المقدم حسام على أوامر العقيد قائلاً:

- إنه يأمرنا بجمع معلومات دقيقة عن الفرقة «٦٥» والفرقة «٦٨».

طفق قبازرد يفكر ويفكر، ثم قال:

- أمهلني ثلاث ساعات آتك بعدها بما يريده العقيد وليكن تقابلنا في المكان السري رقم «زيرو» كان البطل على علم بأن قائد مجموعة الجهراء لديه معلومات وافية بخصوص هاتين الفرقتين، ومن ثم انطلق مباشرة ليبحث عن شقيقه حمد وصادق ابن خالته، وذلك أنهما من أصدقاء مجموعة الجهراء المقربين..

في شقة العقيد الدوسري، أخذ حسام ينظر إلى ساعته، الفينة تلو الفينة وأمارات القلق تكشف عما يتفاعل بداخله.. حملق العقيد بعينيه، ثم قال بنبرة قلق منعكسة:

- لم الإضطراب يا حسام؟ أقلقتني معك! "الغائب حجته معه" يا رجل..!

- أخشى أن يكون قد أصابه سوء، فقد مرت الساعات الثلاث ولم يحضر..!

- تفاءل يا حسام، لكن، ءأنت على يقين من أنه سيقابلك هنا؟

انتفض حسام لما سمع سؤال العقيد وهتف:

- يا إلهي!

وجرى صوب الباب.. سأله العقيد:

- إلى أين؟!

التفت إليه قائلاً

- إلى المكان السري رقم «زيرو».

لما علم قائد مجموعة الجهراء من الرفيقين حمد وصادق أن قائد مجموعة الجابرية في حاجة ماسة إلى معلومات دقيقة تخص الفرقتين ٦٥، ٦٨الغازيتين، أرسل إليه بطريقة سرية ما يلي:

(في أحد المواقع الهادئة التي تطل على خليج الكويت الساحر تقوم العمارة رقم ٢١ وهي عبارة عن مبنى ضخم ذي عشرة طوابق تحيط به حديقة غناء ذات نضرة وبهاء، ومكان رحيب لانتظار السيارات ومحاط بسور عال تحفه وتحجبه عن الأنظار أشجار الكافور والكازورينا التي تعزف على أوراقها الأبدية يد الريح.. كما أن أبواب المبنى الحديدية لا تفتح إلا إلكترونياً بواسطة بطاقة خاصة ورقم سري لا يعرفه إلا العاملون في داخل هذا المبنى الهادئ المنعزل والذي يلفه السكون والغموض، توجد (إدارة عمليات الفرقة ٦٥، والفرقة ٦٨) أو مركز قيادة الأشاوس كما يطلق عليهم حاكمهم وآمرهم المجنون المختبئ هناك في بغداد بقصره المستور.. وهم مجموعة من أشرس وأخطر الضباط الحاصلين على أعلى مستوى

في الوحشية والإجرام واستخدام وسائل التعذيب أو إن شئت فقل هم أكثر وحشية من رجال ونساء عصابات «المافيا» المشهورة، علاوة على أنهم حصلوا على تدريب جيد في الفنون القتالية والمهارة في استخدام السلاح ووسائل التكنولوجيا الحديثة).

استوعب العقيد الدوسري ما جاءه بخصوص الفرقتين استيعاباً تاماً لدرجة أنه لم يستطع أن يريح عقله وجسده ولو لساعة، بل على الفور أرسل من يستدعي له البطلين حسام وقبازرد، ولما حضرا نزل معهما إلى أحد السراديب السرية وقال في جدية وعصبية:

- أريد أن أفاجئ إدارة عمليات الفرقتين اللتين يتباهى بهما الطاغية بمفاجأة دامية.

سأله قبازرد:

- متى؟

- الليلة وبالذات في الواحدة صباحاً.

سكت ثم أضاف"

- وأنا الذي سأقود هذه العملية. والآن أنصتا إليَّ جيداً ليعرف كل واحد دوره.

وأطلعهما شفهياً على كيفية سير العملية المزمع تنفيذها في الواحدة صباحاً من تلك الليلة.

نظراً لما تقتضيه دواعي الأمن بذلك المبنى المهم رقم ٢١ فقد كان من المحظور على السيارات الخاصة التوقف حوله وأمامه حتى ولو

كانت من أعوان الطاغية دون أن يكون لدى أصحابها تصريح خاص يخول لها ذلك، أو أن تكون هذه السيارات ضمن السيارات الخاصة برجال الإدارة والعاملين بها.

قال حسام للبطل المتنكر في زي عسكري:

- اسمع يا أحمد إنهم يطرحون الاستفسارات، ومساءلة أولئك الذين تضطرهم ظروفهم إلى التوقف أمام المبنى وتقديم المبررات التي استوجبت هذا التوقف.

قال قبازرد:

- لا يهم كل هذا، بل المهم جداً هو عامل الزمن، فهل أنت متأكد من أن هذه الرتبة العسكرية ستصل إلى المبنى في الوقت المحدد بالضبط؟

- بل، أنا على يقين من هذا، اطمئن.

انتظر قبازرد إلى أن دقت الساعة الثانية عشرة والنصف بعد منتصف الليل، ثم انطلق بالسيارة الزرقاء المرفرف على مقدمتها «البيرق» وهو علم صغير على شكل مثلث، وإلى جانبه رفيقه حسام، وعلى المقعد الخلفي جندي موثوق الأطراف.. معصوب العينين.. مكمم الفم.. استطاعا أن يلتقطاه من الطريق، ويفعلا به كل ذلك من التقييد، والتعصيب، والتكميم بمقتضى الخطة المحكمة التي وضعها العقيد العبقري محمود الدوسري..

وطفق يحوم حول المبنى الخطير عدة مرات، وفي كل مرة ينظر في ساعة يده إلى أن حانت ساعة الصفر وهي الساعة الواحدة بعد

منتصف الليل كما حددها العقيد.

حينما توقفت السيارة الزرقاء أمام المبنى خرج منها البطلان يجران الجندي الغازي الموثوق.. أسرع إلى الثلاثة على الفور اثنان من عناصر الحرس الجمهوري.. وبعد مرور أقل من ثانية جاءت العربة الجيب تقل ضابطاً برتبة «عميد» وكان قصير القامة بديناً وبكرش منتفخ يضع فوق عينيه نظارة طبية صغيرة.. سألهما بصوت أجش:

- من هذا الرجل المعصوب العينين؟

أجاب قبازرد بعد أن أدى التحية العسكرية واقفاً في انضباط:

- إنه كويتي من رجال المقاومة متنكر في زي عسكري والتفت الضابط الطامع الكبير، مشيراً إلى حسام:

- ومن هذا الرجل الذي يرتدي الملابس المدنية؟

ابتسم قبازرد ابتسامة حقد وغيظ، وأجاب:

- إن هذا الرجل الذي يرتدي الملابس المدنية هو الذي سيفرغ مسدسه في رأسك الكبير هذه...

وأشار إلى رأسه بإصبعه، وعلى الفور جذب حسام مسدسه، وأفرغه في رأس العميد الطامع فخر صريعاً.

فيما كانت الكاميرا التلفزيونية المثبتة في أعلى البوابة تنقل إلى وحدة المراقبة كل الذي يحدث بالخارج بوساطة دائرة تلفزيونية مغلقة... كانت هناك سيارة أخرى سوداء تمر مروراً عابراً بجوار

سيارة البطلين.. وحينما شاهد الحارسان الجمهوريان ما حدث ارتبكا وفقدا اتزانهما ولم يستطيعا استيعاب الذي يدور أمام أعينهما.. لكن، على الفور اشتغلت دوائر التنبيه الإلكترونية فأطلقت إشاراتها الضوئية والصوتية، وما هي إلا لحظة حتى فتحت الأبواب الخارجية ليخرج منها أكثر من عشرة ضباط غزاة من رتبة نقيب فما فوق، يصوبون مسدساتهم تجاه البطلين.. تباطأت السيارة السوداء لتبرز من نافذتها الجانبية الأولى فوهة بندقية آلية مزودة بمنظار مكبر (تلسكوب) ومن نافذتها الثانية فوهة مدفع رشاش، وما لبث أن انطلق منهما سيل متدفق من الرصاص استقر في أجساد الضباط الطامعين كل هذا والحارسان الجمهوريان يتطلع أحدهما إلى الآخر في دهشة واستغراب مما يحدث ويجري أمام أعينهما وما كادا يهنئان بعضهما على نجاتهما من المجزرة حتى فاجأتهما رصاصتان من مسدس حسام، فصرعا في الحال.. هنا أطل العقيد الدوسري بوجهه من نافذة السيارة السوداء، وصرخ في البطلين:

- هيا اركبا سيارتكما!، ماذا تنتظران؟! وانطلق بسيارته وخلفه البطلان في السيارة الزرقاء..

كان رجال وحدة المراقبة التلفزيونية قد سجلوا ما حدث بالخارج، وعلى الفور صدرت الأوامر لوحدة التعقب الليلي بمطاردة السيارتين فلم تكد تمر لحظات حتى فتحت البوابات الخارجية آلياً لتنطلق منها سيارتان بهما عدد من جنود الفرقتين ٦٥، ٦٨ وخلفهما خمسة من عناصر الحرس الجمهوري على دراجاتهم البخارية لمطاردة السيارتين.. وعلى مسافة غير بعيدة من مبنى الإدارة، أشار أحد رجال وحدة التعقب الليلي إلى الطريق حيث كانت السيارة

السوداء تقف على أحد جوانبه بالقرب من ساحل الخليج والأخرى في الجانب الآخر على بعد أمتار منها وهنا توقفت سيارتا وحدة التعقب الليلي والدراجات البخارية ليتجه رجال فرق الإعدام موزعين أنفسهم نحو السيارتين حيث كشفوا خلوهما من أصحابهما..

قال أحدهم:

- من المؤكد أنه كانت هناك سيارة أخرى في انتظارهما على الطريق..

رد عليه زميله في قنوط:

- إن هناك عشرات السيارات تمر بهذا الطريق ولن نستطيع بأي حال من الأحوال أن نحدد من بينها أصحاب هاتين السيارتين.. علينا أن نعترف بأنهم قد أفلتوا منا بعد أن نفذوا عمليتهم الجريئة بأكمل وجه.

قال لهم رئيسهم:

- لنفحص ما تحتويه كل منها فربما عثرنا على ما يرشدنا إلى أصحابها.. خاصة أن لوحتي الأرقام المعدنيتين منزوعتان من كل منهما ولن تفيدانا في شيء، حتى لو كانتا موجودتين فربما سرقوها قال أحدهم:

- لنفتش في الزرقاء أولاً، ثم نعود إلى السوداء وقام بفتح بابها الخلفي مشيراً إلى أرضيتها، وهو يقول:

- مجرد أربع زجاجات «موليتوف»...

وفجأة.. صرخ أحدهم في أثناء فحصه لمحرك السيارة قائلاً:

- أتسمعون هذه الدقات تك.. تك.. تك...؟ هناك قنبلة موقوتة في مكان ما من هذه السيارة.. فلنسرع بالابتعاد.

وما كادوا يسرعون بالابتعاد عن السيارة الزرقاء حتى انفجرت الأخرى، وبعدها بدقيقة انفجرت الأولى، وتطاير كل شيء مشتعلاً في الهواء حتى الدراجات البخارية قد انصهرت هي وراكبوها في هذا الجحيم الذي لم يشعله البارود وسوائل «المولوتوف»، بقدر ما أججه وقود الغضب في جوف الصدور..

تعانق الرفاق مهنئين أنفسهم على نجاح أخطر عملية قاموا بتنفيذها.. وقال قبازرد:

- لم ينج من هذا الجحيم إلا الجندي الذي اتخذناه طُعماً لهذه العملية!.

رد عليه حسام:

- إنها مسألة أعمار يا صاحبي والمثل يقول: (امدد في عمري وارمني في البحر) ثم نظر الاثنان إلى العقيد العبقري، وسألاه:

- فيم تفكر أيها العبقري الفذ؟!

فأجاب في حبور:

- أفكر فيما هو أخطر وأجرأ من هذه العملية. أفكر فيما يقودهم للفناء ويبيدهم إبادة. ابتسم البطلان، وانصرفا مع بقية الرفاق تاركين العقلية المفكرة التي لم تهدأ قط منذ الخميس الأسود.

الفصل العاشر

(وليستمر النضال)

«فليستمر النضال.. فلنزرع في كل أنحاء الكويت مقاومة» كان هذا شعارنا حيث توحدت الجهود تماماً، واستمرت مجموعة «صباح السالم» في أعمال المقاومة برغم أنها أحياناً لم تكن تحت مظلة «رفاق الراية» في بعض التوجهات، فقد كان نشاطها يشمل منطقة القرين التي يفصل شارع بينها ومنطقة صباح السالم. وقد تزايد عدد أفرادها خلال شهر سبتمبر حتى وصل إلى خمسة عشر بطلاً، استطاعوا الانضمام إلى مجموعات أخرى أكثر عدداً.

كنا دائماً في تشاور وتفاهم تام في وضع الخطط وتنفيذ المهام السرية ضد العدو، وأذكر أنني أقترحت على القائد خليل بهاويد وقلت له:

- لدينا مجموعة مكونة من عشرة أبطال ونود أن تنضم إلى «رفاق الراية» وهذه المجموعة هي:

(١) إبراهيم صفر، (٢) مبارك صفر، (٣) خليل البلوشي، (٤) محمد عثمان شايع، (٥) عبدالله مندني، (٦) محمد صفر، (٧) منصور صفر، (٨) عماد القلاف وبطلان آخران.

وعندما تعرف قائدنا على هؤلاء الأفراد، أدرك مدى أهميتهم في عمليات المقاومة، وأسرع بوضع خطط للتنسيق بين هؤلاء ومجموعة القرين. لم يكن بيننا من قواعد المجموعات من يستأثر بالرأي بمفرده، أويضع فكرة من دون أن يستشير إخوانه في كل

التفاصيل الدقيقة، وكان هذا من علامات التعاون والحب والتوحد الوطني بين رجال المقاومة. إنهم جميعاً أسود في مواقفهم، عقدوا العزم على المضي في الدرب حتى التحرير.

مازلت أذكر من هؤلاء أحد الأسماء القريبة إلى نفسي، إنه محمد عثمان شايع. الذي لم يكن في حاجة إلى تدريب عسكري، ولذلك توجه إلى الاشتراك في المقاومة الكويتية منذ الأيام الأولى للاحتلال، وقد كانت له من قبل إسهامات في المجال المدني والاجتماعي، حيث قام بتوزيع المياه وجمع القمامة، والتزم مبدأ السرية في علاقاته مع الآخرين، حتى إنه لم يخبر زوجته بدوره في المقاومة، لأنه يدرك أن حياة رجل المقاومة تحيط الأخطار به من كل جانب، فقد يحدث أن تتفوه امرأة بكلمة لتفخر بزوجها فيتسرب الخبر إلى أعوان الغزاة.

وقد عزمنا جميعاً على اتباع هذا المبدأ في حياتنا وعلاقتنا مع الآخرين. وقد وقعت أحداث كثيرة بسبب عدم السرية في أنشطة أعضاء المقاومة، وكان محمد عثمان شايع يقول:

«إننا جميعاً نحتاج إلى الكتمان والسرية في أعمالنا، لأنه في حال اكتشاف أحدنا فلا مفر من أنه سيلقى حتفه بعد أن يعذب على أيدي الخونة والطغاة والمستبدين».

ويعود شايع يروي بعض القصص المحزنة عن الذين وقعوا في الاعتقال من أعضاء المقاومة. فقد تم تعذيبهم بمختلف أنواع الوسائل التي تتنافى مع الإنسانية، إنها وسائل همجية وحشية اتخذها الجنود الطامعين للتعذيب مثل بتر الأصابع والأذرع وحرق

الأطراف واقتلاع الأظافر والصعقات الكهربائية والقتل والذبح والتعذيب.

لقد أكد لي شايع أنه شاهد بعض الجثث متفحمة من أثر الحرق، وشاهد جثثاً أخرى قد شوهت ملامحها من التعذيب.

يقول شايع في مرارة وحزن:

- كتب علينا الجهاد يا إخواني ولا سبيل أمامنا إلا مواجهة الموت والشهادة، إننا نريد أن نموت ونحن نقاتل وندافع عن الوطن. لذلك علينا الحرص الشديد بعدم إبلاغ الأسر بدورنا ونشاطنا في أي من الخلايا، حرصاً عليهم وأماناً لهم.

وظل شعار «رفاق الراية»: (لتستمر المقاومة حتى آخر رمق في الجسد). كان من السهل على هؤلاء الغزاة أن يحطموا الأبواب والسيارات ويسرقوا المجوهرات والأموال من البنوك.. كان من السهل عليهم أن ينهبوا أجهزة التكييف والآلات الثقيلة في الصناعة وأجهزة الكمبيوتر إلى بلدهم، ولكنهم لم يكن من السهل عليهم تحطيم الروح الكويتية أو إطفاء شعلة المقاومة.

كنا جميعاً نعرف أنه لابد من أن تستمر المقاومة برغم الموت والسحق والتعذيب والسجن والاعتقال والضرب، والجلد بكل أنواع الآلات الحادة، وعلى الرغم من ذلك كله، أكد قائدنا بهاويد أننا لن نتوقف، وأصدر أوامره بإحضار السلاح الذي نحتاج إليه، لتستمر المقاومة وليستمر النضال الوطني.

لقد كان رفاقنا من خلال حياتهم اليومية في أيام الغزو لا

يتصدون للعدو في النهار أبداً، بل في منتصف الليل حيث الناس نيام. وفي الصباح نقوم بدورنا العادي ونذهب إلى الجمعيات ونتزاور مع أهلنا فنتفقدهم ونساعد الناس بأن نزودهم بالأغذية والمياه.

وفي العصر نكون بالديوانية نجلس مع أصحابنا كأننا لا عمل لنا إلا هذه الأشياء، حتى لا يشك أي إنسان فيما نقوم به ضد العدو الغاشم، فنعرف كل شيء عن تحركات العدو وما يفعله بالمواطنين. كما كنا نجتمع بعد صلاة المغرب ونناقش العمليات التي سوف نقوم بها. إننا نراقبهم ليلاً ونهاراً حتى نرد عدوانهم عليهم هلاكاً وتدميراً.

نعود إلى «خلية القرين» بعد مرور فترة لا بأس بها من انضمامهم إلى رفاقنا في الراية. وأصبحت خلية تابعة لها اقترحت ذات يوم على قائدنا بهاويد أن يلتقي أفراد خلية القرين، فوافق على ذلك في مساء ١٩٩١/١/٢ م حيث التقى بهم مدة ساعة، وعندما بدأ قائدنا في تسجيل أسماء الحضور، كانت المفاجأة من مبارك منصور وعبدالله عبدالنبي مندني بأنهما رفضا، وأوضحا بعد ذلك وجهة نظرهما. وذلك أن معظم قيادات المقاومة وأفرادها قد تم أسرهم واستشهادهم بسبب معرفة الأسماء، وأكدا أنهما يعملان لله سبحانه وتعالى من أجل الوطن.

وبعد الاجتماع همّ قائدنا بمغادرة المكان متوجهاً إلى اجتماع آخر ولكن فجأة.. اقتحمت قوة غازية المنزل، وأسرت الحضور ومن بينهم قائد «رفاق الراية».

الفصل الحادي عشر

(الدم العربي ينزف)

الدم العربي ينزف..

ويهدر بلا جدوى.. الدم العربي يخضب الأرض والأبواب والصباح.. والشموس.. الدم العربي يصرخ في كل مكان وبلا جدوى وبلا فائدة..

كان وقوع قائدنا خليل بهاويد في الأسر كارثة كبرى، تذكرت القائد الأول خالد الشطي.. أين هو الآن؟ إنه في سجون النظام الغاشم، لماذا؟ لماذا يقاتل الدم العربي نفسه؟

إن هناك من يترصدنا ويتابعنا ويسجل علينا كل حركة وموقف، ولابد أن نكون على حذر.

ولذلك كان عبدالله عبدالنبي صائباً حين رفض تسجيل أسماء خلية القرين، وقد فكر كثيراً في أمر الاعتقال الذي قد يحدث لأحد القياديين، وعبدالله عبدالنبي قد سجل له التاريخ دوراً كبيراً حين قام في بداية الغزو بتكوين مجموعات من الشبان للمقاومة وكان دائماً يقول في عجب:

- كيف يمكن للأخ أن يقتل أخاه ويتسنى لدم العربي أن يحارب ذاته؟

لقد كان عبدالله رئيس عرفاء في وزارة الداخلية بالإدارة العامة للهجرة في منفذ السالمي.

وقد فشل في أن يلتحق بعمله في اليوم الثاني من أغسطس ١٩٩٠م، بعد أن فوجئ بأن هناك غزواً شريراً يقتحم أرض الكويت.

فكر عبدالله مع مجموعة من الشبان المقاومين في جمع الأسلحة من المخافر، وتوزيع المنشورات الوطنية التي ترفض الاحتلال، وظل يعمل في هذه المجموعة قبل أن ينضم إلى «رفاق الراية».

وعندما التقيت بعبدالله عبدالنبي أعجبت بنشاطه البارز، وقد رتبت له الأمور لينضم إلينا، وقد أبدى نشاطاً ملحوظاً في كفاحه ضد القوات الغازية، لم يكن يهاب الموت، ولم يكن يخاف أن يقع في الأسر، فقام بقنص الجنود وتفخيخ السيارات، كان دائماً يقول لزوجته عندما يخرج في عملية عسكرية:

- لا تتوقعي عودتي إليكم سريعاً.. فإذا لم أرجع.. فاعلمي أني ضحيت بروحي من أجل الله والوطن.. من أجل الكويت، من أجل أن يتوقف نزيف الدم العربي..

ولا أستطيع أن أغفل ذكر عبدالله مندني.. إنه أحد الرجال الذين وهبوا أنفسهم وأموالهم من أجل الكويت.

وقد علمت أنه أعد مجموعة من المساكن في منطقة القرين للأسر التي نزحت من جزيرة فيلكا عقب الغزو مباشرة.

لقد احترمت عبدالله عبدالنبي كثيراً لمواقفه الشجاعة، فقد كان يظل صامتاً في الاجتماعات، ثم يتلقى التعليمات ويؤكد عزمه على النضال حتى آخر قطرة من دمه، ويمضي في منتصف الليل أسداً يدافع عن عرينه. وحين دنوت منه يوماً وكنا نقوم بجمع الأسلحة من المخافر قال عبدالله في حزن شديد:

- لم أكن أصدق يا أخي أنني سأقف يوماً ما شاهراً سلاحي ضد من كنا نعتبرهم أخوة لنا.. كيف يتسنى للدم العربي أن يقاتل

نفسه، أشعر أننا في محنة يا أخي الكريم.. ولقد كان من المفترض أن نقاتل أعداء الإسلام والعروبة.

وفجأة وجدت أمامي جنوداً عرباً يقتحمون وطني.. يقتلون وينهبون كل شيء. هل هذا معقول؟ لم أصدق ما أراه يا صديقي.. كنت مذهولاً لا أدري كيف أصدق كل هذا!!

كان الناس لا يدرون شيئاً عندما خرجوا في الصباح إلى عملهم وشاهدوا الدبابات والعربات المصفحة وظنوا أن الأمر عادي..

لم يشك الناس وهم في طريقهم إلى أعمالهم لحظة في أن هناك خيانة كبرى.. ما أقسى الخيانات حين يقترفها أكثر الناس قرباً إليك!!

شاهدت الدموع تتجمد في عيني عبدالله عبدالنبي وهو يردد:

الخيانة.. ما أقسى الخيانة!!

وأتذكر الآن هول تلك الكارثة الأخرى عندما علم أفراد خلية القرين أن قائدهم بهاويد قد تم أسره. عرفوا ذلك عن طريق شقيقه فيصل الهاجري الذي أخبرني بما حدث، وقمت مسرعاً بإخبار الآخرين والتفكير في تعيين قائد جديد.

استقر الرأي على أن يكون جاسم محمد علي قائد الخلية. هكذا مرت الأحداث بسرعة ونحن نناضل ونعمل تحت ستار الظلام لتنفيذ العمليات العسكرية بدقة ومهارة.

فكرنا في هؤلاء الذين سقطوا في الأسر، فلم نكن نعلم أين ذهبوا؟ وأين يقضون ليالي الأسر والاعتقال؟

لاشك في أنهم يواجهون التعذيب والموت، والصور شاهد على ما تعروضوا له من عمليات الوحشية، وبقايا الآلات الحادة والأجهزة الكهربائية كانت وسيلتهم لإرغام المعتقل على الإدلاء باعترافات.

لقد وقع قائدنا بهاويد في الأسر، كانت محنة حقاً لنا جميعاً، ولكننا كنا على ثقة بأن القائد لن يتخاذل أو يستسلم، وعلمنا أن بهاويد واجه تعذيباً وحشياً من الغزاة، وحاولوا أن يعرفوا منه أسماء رفاق الراية وخلايا المقاومة الأخرى ولكنه لم يعترف بشيء.

سمعنا أيضاً من بعض العيون التي كنا نرصدها هناك للتجسس ورصد حركة الغزاة ونشاطهم وأعمالهم وخططهم، بأن بهاويد صاح في وجه الضابط وقال له:

- لقد جئتم تقتلون إخواناً لكم جئتم بجيوش زاحفة تدمرون كل شيء في أرض الكويت.. الأرض التي ساعدتكم ومنحتكم الخير والعطاء.. والآن أنكرتم الجميل.. واسودت صفحات التاريخ بأفعالكم المشينة..

وقال له الضابط في سخرية:

- كفاك شعارات.

ولكن القائد بهاويد قال في تحد وحماس:

- سنظل نقاتل حتى نسترد بلادنا.. لعنة الله عليكم جميعاً.

الفصل الثاني عشر

(وطني الكويت)

خلال تلك الظروف والمحن التي كنا نواجهها، بدأت مجموعات المقاومة في التزايد ومن بينها مجموعة المسيلة بقيادة سيد هادي العلوي.

وسيد العلوي كان جندياً في الجيش الكويتي، وعمل في البلدية ومن الظروف الغريبة التي صادفها أنه استأجر مزرعة في منطقة الفنيطيس، وذهب إلى هناك يوم الخميس الثاني من أغسطس ١٩٩٠ ورأى طلائع الغزو حيث شاهد أرتال العربات المصفحة والجنود الغزاة.

أسرع سيد هادي إلى الالتحاق بمجموعة (رفاق الراية) وحاول أن يخفي ملامحه حتى لا يعرفه أحد فصبغ شعره أصفراً، وقد قرر ذلك عقب إحدى العمليات الفدائية وعندما كان ينسحب مع رفاقه شاهده أحد الجنود الغزاة فقامت زوجته بمساعدته لتغيير لون شعره، وقد ساهم في تأسيس «رفاق الراية» فرع المسيلة، واختير قائداً لهم لخبرته الطويلة في عمليات الهجوم والاقتحام والمقاومة.

بعد اعتقال خليل بهاويد قامت مجموعة «رفاق الراية» بالانتقال إلى منزل حامد العلوي في منطقة القرين، وذلك في الثامن والعشرين من سبتمبر ١٩٩٠م.

وبالطبع كانوا في غاية الحرص في نقل الأسلحة وإخفائها في أحد المنازل التي لم يكتمل بناؤها بعد، وأخفوا الأسلحة تحت أكوام من الرمال القريبة من المنزل، وكانت مجموعة من الرشاشات

والقنابل اليدوية وغيرها من الأسلحة قد وضعت في أحد المخازن بالمنزل.

وقد قام بنقل الأسلحة عامر العنزي، ومشعل المطيري، وأحمد الجابر، حيث قاد مشعل سيارته من (طراز باص) وتقدمته سيارة أخرى لمراقبة الطريق.

وعامر العنزي رفيقي في الراية هو الظهر والسند كان جريئاً ورياضياً تميز بالإقدام ويحظى باحترام الآخرين. هكذا كان يقول لنا دائماً محمد يوسف عنه، حيث كان يعمل في اللواء الخامس عشر «كتيبة المدفعية الخمسين» برتبة ملازم أول وقد كان يوم وقوع العدوان في دورة في معهد التكنولوجيا، وفي الثالث من أغسطس التحق بالمعسكر وكنت معه في اللواء وكذلك النقيب مشعل المطيري وأحمد جابر ويوسف خضير.

بناء على أوامر من رؤسائه توجه إلى معسكر المباركية بصحبة مجموعة من الأفراد، وهناك اشتبك مع مجموعة من جنود الاحتلال.

أمام كثافة نيران العدو وبناء على تعليمات من رؤسائه وحفاظاً على أرواحهم اضطر عامر ومن معه من العسكريين إلى الانسحاب من المعسكر، وفي أثناء الانسحاب تعرف على نوري العلوي وهو من مؤسسي «رفاق الراية» (٢٥ فبراير) المعروفة بنضالها البطولي، كما تعرف على مجموعة من العسكريين مثل محمد فرحان العنزي، وسلطان جدعان الشمري، وطلال عراك الشمري، وناشي الحربي، وبعض الضباط في منطقة الشويخ.

وعند شبرة الخضار اشتبكت هذه المجموعة مع جنود العدو

وبعون من الله سبحانه وتعالى استطاع عامر في ذلك اليوم الوصول مع نوري العلوي إلى مزرعة قائد «رفاق الراية» (المسيلة) سيد هادي في الفنيطيس، وفي اليوم التالي ذهب إلى منطقة كيفان وشارك في القتال الدائر هناك وقد أبلى بلاء حسناً، ولكنه اضطر إلى الخروج من كيفان في أعقاب سيطرة جنود الاحتلال عليها، والتقى بي هناك ومعه طارق الفيلكاوي، وقمنا بتوصيله واثنين من زملائه إلى مزرعة الفنيطيس.

ويعد عامر العنزي من مؤسسي قوة الكويت ومن «رفاق الراية». وقد شارك في جميع العمليات التي قام بها أفراد «رفاق الراية»، بالإضافة إلى قيامه بعمليات قنص فردي لجنود الاحتلال، كما قام بعدة عمليات ناجحة منها إطلاق النار على جيب عسكري للعدو، وإلقاء القنابل على الأرتال العسكرية الغازية بالتعاون مع نوري العلوي ومشعل المطيري الذي كان ينقل المعلومات إلى العقيد محمد الحرمي عن طريق ضابط اتصال آخر.

كما شارك في إحدى عمليات «رفاق الراية» ضد القوات الغازية في إحدى مدارس منطقة غرب الفنطاس في ١٤/٩/١٩٩٠ وكان يقوم بتفقد مواقع عمليات التفجير لنقل المعلومات عن نتائجها.

كما أطلق النار في منطقة صباح السالم على اثنين من جنود الاحتلال فقتل أحدهما، والآخر فرّ هارباً بعد إصابته في رجله، وقد تمت هذه العملية بالتعاون مع زميله مشعل المطيري، كما درب عدداً من عناصر «رفاق الراية» من المدنيين على تنظيف السلاح واستعماله بالتعاون مع «رفاق الراية» (المسيلة) و«رفاق الراية» (٢٥ فبراير) ومع خلية القرين أيضاً. ومع نوري العلوي بالتعاون مع «رفاق الراية» (المسيلة).

حين أذكر عامر العنزي ترتعش خلجات قلبي حباً لهذا الصديق الذي شارك في كل تلك العمليات الجريئة. لقد شاهدته يقتحم أماكن الجنود ويقذفهم بالقنابل ويتحرك بخفة في كل مكان ومن المشاهد الرائعة التي يرويها عامر العنزي:

- كنت أقود سيارتي بعد المغرب في شوارع الكويت، محاولاً أن أكتشف أماكن التفتيش التي تقام في كل مكان، وإذا بي أشاهد مجموعة من الفتيان من أبناء الكويت يرفعون علم الكويت ويكتبون على جدران المدارس والأسوار (الموت للغزاة)، وإذ بعربة جيب تقترب من الأطفال ويترجل منها أحد الجنود ويشهر بندقيته في وجه الفتيان ويقول لهم بحدة:

- أنزلوا هذا العلم.. أنتم في أرضنا....

ولكن الفتى الذي كان يحمل راية الكويت قال بشجاعة:

- نحن في بلادنا الكويت وسيظل علم الكويت مرفوعاً، ونحن أبناء الكويت على أرض الكويت.

حاول الجندي أن يهددهم باستعمال القوة ولكن الفتيان هتفوا:

- وطني الكويت سلمت للمجد..

وطني الكويت سلمت للمجد..

واتخذوا طريقهم يهتفون بالنشيد الوطني..

والجندي يقف مذهولاً لا يدري ماذا يفعل؟

هؤلاء هم أطفال الكويت وأبناؤها الذين يهتفون تحت راية الكويت..

الفصل الثالث عشر

(لصوص المتاجر)

أتذكر الآن «رفاق الراية».. حين اختار القائد سيد هادي التحرك إلى منطقة الرميثية ليلتقي بالرفاق هناك.

ولكن الموقف قد تغير في منتصف أكتوبر حيث عاد الرفاق إلى منزل حامد العلوي في منطقة القرين، وعندما بدأت القوات الغازية في الانتشار داخل هذه المنطقة ذهب الرفاق إلى منزل آخر يطلق عليه (المقر)، ويخص أحد سكان المنطقة وهو صالح العجمي الذي لم يكن داخل الكويت.

ولابد أن أذكر بأنه كانت ثمة علاقة وثيقة بين جاسم محمد علي وسيد هادي قائد رفاق فرع المسيلة حين انضم الأخير للخلية.

وعلمنا أن سامي وقع في الأسر في أول أكتوبر، بعد أن ساهم في عمليات مسلحة عدة ضد القوات الغازية. وعندما لم تستطع القوات المعتدية أن تثبت أنه من المقاومة، أطلقت سراحه مع عمه نوري العلوي.

ومن المواقف الرائعة للقائد سيد هادي أنه قام بزيارة مقر المقاومة ليتأكد من أن ابنه قد انضم إلينا ليساهم في المقاومة.

وفي ذات يوم... أبلغني سامي هادي، وجاسم محمد علي بأن قائد رفاق الراية في المسيلة. هو أبو سامي. وكان علينا الذهاب إلى قائد الرفاق والاجتماع به لكي نخبره بأن قائد «رفاق الراية» (الروضة) خليل بهاويد قد تم أسره، وأننا نملك كمية من الأسلحة، ونريد الانضمام إلى قيادة ومجموعة أكبر، واخترنا أن ننضم إليكم ونحن نعرف أنك جئت لزيارتنا لتطمئن على ولدك سامي، وأن مجموعاتنا تسمى «خلية القرين».

رحب بنا سيد هادي، وأصبحت خلية القرين تحت مظلة «رفاق الراية» (المسيلة) في ١٩٩١/١/٤م.

انتقلت مجموعة «رفاق الراية» إلى منزل مجاور لمنزل بدر العيدان، من المعروف أن السلطات الغازية المحتلة كثفت في شهر أكتوبر محاولاتها لتغيير التركيبة السكانية، وبناء على ذلك قامت بنقل أسر أزلام صدام وإسكانهم في المنازل الكويتية، كنا نراقب تلك المحاولات ونسجلها في رسائلنا إلى الخلايا الأخرى. وعلى الرغم من ذلك كانت هناك مجموعات فدائية تعمل بمفردها وقد كنا على علم بأفرادها، ومن بينهم بدر العيدان وهو من الذين أخلصوا لقضية الكويت والدفاع عنها وبذل الروح في سبيل الله ومن أجل الوطن، لم يكن أحد أعضاء مجموعة المقاومة، ولكنه أحد المواطنين الذين اختاروا المرابطة والصمود وتحمل سوء الأحوال المعيشية في تلك الأشهر الحزينة.

قام بدر بأعمال كبيرة مثل حرصه على جمع الأسلحة من مستودع بالقرب من إدارة الجوازات في منطقة الشويخ، وقد تعاون في ذلك مع والده وأخيه لتوزيعها، ولما حانت الفرصة لذلك آثر أن يحفظ الأسلحة في منزل والده.

كان بدر العيدان يقيم مع أهله في منزل والده، إلا أنه في أعقاب قتل أحد جنود الاحتلال في المنطقة نفسها، وقيام السلطات المحتلة باعتقال الشبان الكويتيين من سكان القطعة التي يعيش فيها والده، انتقل للإقامة في منزله الخاص في منطقة القرين، وكانت زوجته وأولاده قد غادروا الكويت إلى دولة الإمارات العربية المتحدة، حيث كان يخشى عليهم من ممارسات العدو الوحشية.

كان بدر العيدان يمثل تلك الفئة من رجال المقاومة الذين يعملون فرادى من دون الارتباط بالخلايا، وهذا هو الواقع الذي ساد في الكويت في تلك الفترة، حيث تحول كل مواطن كويتي إلى فدائي مسؤول عن وطنه، يحمل سلاحه وينطلق بين الغزاة، ينشر بينهم الفزع والخوف والرعب.

كنا على معرفة بالنشاط الذي يمارسه بدر العيدان الذي اختار طريقه، وأدرك هدفه الحقيقي، وهو تحرير أرض الكويت من هذا الجراد الذي جاء يلتهم النبت الأخضر على أرضنا. وقد التقيت به كثيراً وقال لي:

- هل تصدق أن عربات وشاحنات تحمل رجالاً ونساء وأطفالاً من عوائل الغزاة قد استوقفوني وسألوني:

- أين مركز سلطان للأطعمة والأجهزة الكهربائية؟

وعلمت أنهم يريدون التوجه إلى مركز سلطان حيث ينهبون الأطعمة والأجهزة والملابس والأدوات الكهربائية.

وقلت لهم: لماذا؟

قالوا فرحين:

- كل شيء مباح لنا مجاناً نريد أن نحمل كل ما في السوق.

وقال بدر في مرارة:

هل هذا غزو حقاً أم أنهم مجموعة من الجوعى والمشردين؟ إنهم لصوص المتاجر!!

الفصل الرابع عشر

(نضال المرأة الكويتية)

يا لها من فظائع في داخل مدينة الكويت!! لقد نهبوا كل شيء.. واعتدوا على النساء والمرضى والأطفال. حتى حضانات الأطفال في المستشفيات لم تسلم من بطشهم. وبرغم ذلك لم يستسلم أهل الكويت.

لم يستسلم الرجال أبناء الوطن، حتى المرأة الكويتية كان لها دور بارز في مرحلة الغزو، لم تكن المرأة الكويتية تخشى هذه الفظائع والأعمال الإجرامية غير الإنسانية.

استطاعت المرأة الكويتية أن ترعى بيتها وأطفالها وتقف بجوار زوجها خلال المحنة بشجاعة وهمة وتدبير وعزيمة لا تلين. ولا أنسى المظاهرات النسائية التي تحدثت عنها صحف العالم ووكالات الأنباء في كل أنحاء العالم.

لقد رفضت المرأة الكويتية الاحتلال والغدر والخيانة.. رفضت ذلك وخرجت ترفع راية الكويت في الفضاء برغم طلقات الرصاص.. وبشاعة الممارسات الظالمة والخيانة الكبرى. ورفضت المرأة الكويتية هذا الاحتلال وأعلنت العصيان والتمرد التام رغم ما كان يحدث على أرض الكويت، حيث بدأت هجرات أسر أزلام صدام إلى منطقة القرين التي كانت خالية من السكان، فقد كانت المنازل هناك معدّة لأهل الكويت..

وفي مواجهة ذلك.. اتجه «رفاق الراية» للإقامة في هذه المنطقة حتى يسهل عليهم الهجوم على أفراد القوات الغازية واصطيادهم

فرداً فرداً، والاختفاء بين البيوت من دون أن يلاحظهم العدو.

أصبحت منطقة القرين اسماً يرتبط بأعمال المقاومة على صفحات التاريخ الكويتي. وقد انتقل كثير من أفراد المقاومة إلى هناك.

ومن «رفاق الراية» الذين انتقلوا إليها نايف عبيد الأحمد الذي استقر مع أسرته في أحد منازل المنطقة في قطاع (ج -١)، ثم طلب أحد «رفاق الراية» وهو جاسم حسين القلاف تدبير منزل لأسرته، لأنه يرغب هو الآخر في الانتقال إلى منطقة القرين، واستطاع نايف تدبير المنزل المطلوب وهو منزل العجمي الذي يقع خلف المنزل الذي يقيم فيه نايف ويجاور منزل بدر العيدان.

لكن عدم انتقال جاسم القلاف إليه هيأ الفرصة ليستقر فيه «رفاق الراية»، وأصبح مقرهم ويسمى مقر القيادة، نظراً لوجود سيد هادي الدائم فيه.

بعد بدء عاصفة الصحراء وخوفاً على الأهالي الذين يسكنون في المنطقة نفسها، والذين تم تخزين السلاح في أحد منازلهم، قرر «رفاق الراية» نقل الأسلحة إلى «المقر» أي منزل العجمي، وقد تحقق ذلك بالفعل ونقلها مشعل المطيري بسيارة خاصة من طراز باص، حيث استطاع تجنب نقاط التفتيش والسير في طرق داخلية، وقد سارت سيارة بداخلها بعض الرفاق لمراقبة الطريق. وهكذا تمكنوا من الوصول بسرية واستقروا في «المقر»، كما قاموا بإلصاق أكياس سوداء على النوافذ.

وفي يوم ١٩٩١/١/٢١م كانت القوات الغازية كعادتها تقوم

بحملات تفتيشية في مناطق الكويت ومنها منطقة القرين، وعندما وصلوا إلى «المقر» أسرع بدر العيدان للحؤول دون ذلك، وتمكن من إقناعهم بأن المنزل يخلو من أهله الذين يترددون عليه بين حين وآخر، وأنه المسئول عن المنزل لأن أهله طلبوا منه حراسته، واستطاع إقناعهم بذلك مواجهاً أسلحتهم وجبروت غطرستهم وفظائعهم.

لم يكن يبالي بحياته فقد كان يخشى أن يدخل الجنود ويكتشفوا الأسلحة ولكنه تمكن بدهائه من إقناعهم فانصرفوا على الفور.

الحقيقة أن عناية الله سبحانه وتعالى هي التي جعلت القوة الغازية تنسحب ولم تصر على تفتيش المنزل.

أما بدر العيدان فقد قال لسيد هادي بعد هذه الحادثة:

- إنني أعلم أنكم من رجال المقاومة لذلك حرصت على إبعاد الجنود عن المنزل.

وفي اليوم التالي طوقت قوة غازية قطاع (ج -١)، واستطاع «رفاق الراية» توزيع أنفسهم بين منازل القرين وتركوا السلاح في المخزن العلوي للمنزل مع صور لقادة الكويت. وفي هذه المرة دخل الجنود المنزل وقاموا بتفتيشه ومزقوا الصور ولكنهم لم يعثروا على السلاح وبعد انتهاء التفتيش قام «رفاق الراية» بنقل الأسلحة إلى منزل آخر وأطلقوا عليه القصر الأحمر وكان قيد الإنشاء.

وقد نقل الأسلحة مشعل المطيري ويوسف خضير، ولكن قبل بدء الحرب البرية بثلاثة أيام نقلوه إلى المقر ثانية، وقام بهذه العملية أيضاً مشعل المطيري بحافلة ركاب بالتعاون مع حازم وبدر

السويدان، ومحمد يوسف، وسيد هادي، وعامر فرج العنزي ويوسف خضير.

كان من رأي سيد هادي قائد الرفاق أن تأخذ المجموعة المنازل الخمسة المواجهة لمحطة البنزين، وأوضح لهم أنه يريد أن يكون معه في المنزل «رفاق الراية».

وكانت النية أن ينتقل رفاق الراية إلى المنازل المجاورة لمقر خلية القرين المقابل لمنطقة صباح السالم.

ولكن بسبب كثافة الوجود العسكري الغازي هناك، استقر الرأي على أن تتحول خلية القرين إلى المنازل القريبة من «رفاق الراية». وكان هدف هذا التلاحم هو مواجهة الظروف المستجدة بعد إنزال بحري كان متوقعاً لقوات الحلفاء.

كان هناك بطل جسور هو يوسف خضير، رفيق الراية دائماً. لقد كنا فخورين به وبدوره النضالي، التقيت يوسف خضير حين انطلق يوم الخميس ١٩٩٠/٨/٢م إلى مقر عمله في اللواء الخامس عشر، بناء على استدعاء من القيادة العسكرية وقد كان في إجازة، وهناك اشترك في القتال الدائر بين القوات الكويتية وقوات العدو، ولكنه اضطر مع مجموعة من الجنود إلى الانسحاب نحو قصر بيان، واشتبكوا هناك أيضاً مع القوات الغازية ثم اضطرتهم ظروف المعركة إلى الانسحاب نحو مقر اللواء الخامس عشر، ولكن بعد معارك شرسة اضطر النقيب يوسف خضير مع غيره من المقاتلين الذين كتبت لهم النجاة إلى الانسحاب بعد أن تمكنوا من تكبيد الأعداء الكثير من القتلى. وانسحب بعضهم إلى الأراضي السعودية

وخـرج يوسف ومن مـعـه من البـاب الخلفي لمقـر اللواء، بعـد أن استبدلوا ملابس مدنية بملابسهم العسكرية.

اتجه يوسف إلى منطقة كيفان، حيث اشترك في المقاومة هناك، ثم عاد إلى منزله في منطقة الرميثية يوم الأحد ١٩٩٠/٨/٥م في سيارة جيب ومعه عدد من الشبان.

ودخل المنزل وهو يردد:

- النار ولا العار!!

كان محباً لوطنه غيوراً عليه وكان عصبي المزاج في الأيام الأولى من الغـزو وكـان قـد انضم إلى «رفـاق الراية» في اليـوم الرابع عن طريق أحمـد جابر أحد الأعضـاء، والذي كان يعمل معـه في اللواء الخامس عشر برتبة عريف. وكان بالطبع من مؤسسي «رفاق الراية» ومن الملازمين للقـائد سـيـد هادي، كـمـا كـان من «رفـاق الـراية» اليوسفي أيضاً الذي قام ببعض العمليات الناجحة التي تم تنفيذها في منطقة صبـاح السـالم وعـمليـة أخرى في قـصـر بيان. وقـام مع رفـاق الراية «المسيلة» بإحـراق شـاحنات العـدو على طريق الدائري الخـامس، بالتـعـاون مع جـمـال إبـراهيم وطارق الفـيلكاوي. كـمـا قـام بعمليات قنص لجنود الاحتلال وإحـراق سيارة عسكرية كانت تحمل بعض الجنود وتسير تحت الجسر المؤدي إلى منطقة بيان.

ويقول يوسف خضير في حماس شديد:

- هل تصـدق كيف وقفت المرأة الكويتية فـي وجه الاحتلال الغاشم؟ كانت تجربة مريرة تلك التي واجهتها المرأة في الكويت.

قلت له: ماذا شاهدت يا يوسف؟

قال: هل تذكر المظاهرات النسائية التي خرجت في اليوم الثالث للغزو تطالب الغزاة بالجلاء عن الوطن؟ كانت شجاعة نادرة ليس لها مثيل. لقد خرجت نساء الكويت يهتفن بالحرية والتحدي للاستبداد.

وكنت أراقب هذه المظاهرات وسلاحي معي خوفاً عليهن. ولكن المظاهرة سارت تتحدى الجنود والرصاص وترفع راية الكويت والنساء يهتفن:

- عاشت الكويت حرة..

- تحيا الكويت..

- عودوا إلى بلادكم أيها الجنود..

- عاشت حكومة الكويت.

إننا معشر الرجال كنا جميعاً نشاهد تلك الخطوة الجريئة، والنساء يطفن شوارع الكويت بين صفوف الجنود المدججين بالسلاح.

وراية الكويت في السماء خفاقة أبداً... وفي هذه المظاهرة سقطت الشهيدة سناء الفودري برصاص الغدر لأنها تحدت جنود الاحتلال وهتفت ضد احتلال وطنها، لقد دفعت المرأة الكويتية حياتها رخيصة فداء لوطنها وحرية هذا الوطن وضربت أروع الأمثلة في التضحية والفداء منذ اليوم الأول للغزو الغادر.

الفصل الخامس عشر
(مشاهد.. وصور وذكريات)

منذ بداية شهر يناير ١٩٩١ لم تعد العمليات المسلحة لرجال المقاومة الكويتية الباسلة ضد قوات الاحتلال كما كانت، فقد قل حجمها لسقوط الكثير من القيادات في الأسر مثل خالد الشطي، وخليل بهاويد، وغيرهما، واستشهاد العديد من أفراد المقاومة، ولم يكن ذلك يعني توقف المقاومة ضد الاحتلال، وبالتالي فإن معظم النشاط تركز على عمليات جمع المعلومات عن مركز تجمع القوات الغازية وأسلحتها، للإفادة من هذه المعلومات عندما تبدأ معركة التحرير.

قام مبارك صفر وجاسم محمد علي بدورهما في هذا النشاط من خلال تنقلهما بسيارة نقل المياه، فقد كانا يترددان على مقر «رفاق الراية» في منطقة القرين بحجة توزيع المياه. وقد تمكنا من المرور من دون التعرض لأي مشكلة مع جنود التفتيش لأنهما من الوجوه المألوفة بسبب قيامهما بنقل المياه إلى منطقة القرين.

ولقد تم التعارف على بعض أفراد «رفاق الراية» الذين تعرفوا من قبل على مقر المجموعة عندما كانوا يقومون بنقل الماء والتشاور مع قائد الرفاق وتلقي التعليمات والمعلومات منه. كما كان جاسم قد قام بزيارة إلى «رفاق الراية» عندما كانت في مزرعة الفنيطيس، عندما كانت قدمه مصابة وكان يستعين بعكاز أي أنه لم يكن جميع أعضاء «رفاق الراية» يعرفون أعضاء خلية القرين.

وبعد تناول العشاء حوالي الحادية عشرة مساء انتقل أفراد خلية

القرين إلى منزل آخر. أما بقية أفراد الخلية فقد التقوا بسيد هادي مساء في يوم ١٩٩١/٢/٢٣م وهم: جاسم محمد علي، وإبراهيم علي صفر، ومبارك علي صفر، وعبدالله عبدالنبي مندني، وخالد أحمد عباس، وحسين علي غلوم رضا، وعثمان شايع، وخليل خير الله البلوشي، وقد وصلوا بالتحديد في الساعة التاسعة إلى مقر رفاق الراية في قطاع (ج-١) في منطقة القرين. وصلوا بسيارة نقل المياه بقيادة مبارك صفر وجاسم محمد علي، أما داخل الصهريج فكان إبراهيم صفر ومحمد شايع وخليل البلوشي.

وفي السيارة الثانية كان طلال الهزاع، وسامي سيد هادي، وعبدالله مندني، وحسين غلوم مع الأسلحة.

وبالتحديد توجه بعض أفراد الخلية إلى المنزل الثالث في القطعة نفسها بل الحارة التي يقع فيها مقر «رفاق الراية». وقد اتفق معهم سيد هادي على البدء بالحراسة من سطح المنزل، وكان يرأس الخلية في ذلك الوقت جاسم محمد علي.

كان حسين غلوم من أبطالنا وكان رفيقي في الخلية، وقد أنهى دورة في كلية الشرطة، وكان يوم ١٩٩٠/٨/٢م اليوم الأول له في مباشرة عمله، ولكن تم أسره بعد ساعات، فقد أراد الله سبحانه وتعالى أن يحفظه لدور آخر. فقد أطلق سراحه وتمكن من العودة إلى منزله ولم يهدأ له بال لأنه عزم على المقاومة والدفاع عن الوطن.

لقد بدأ القيام بالحراسة الليلية بالتعاون مع بعض الشبان في منطقة الرقة. كما قام في الوقت نفسه بجمع الأسلحة وحفظها بعيداً عن أعين سلطات الاحتلال. وتطوع في جمعية الرقة التعاونية ولكنه اضطر إلى ترك العمل بسبب تكثيف القوات الغازية عملياتها بحثاً عن العسكريين. إلا أن ذلك لم يمنعه من الانضمام إلى خلية القرين التي انضم إليها أخوه من والدته خالد الكندري. وكان ذلك في بداية شهر أكتوبر، واشترك معهم في نقل الأسلحة وعملياتهم ضد القوات الغازية.

وقد عمل في وظيفة مشغل مصفاة في ميناء عبدالله، وكوّن مجموعة صغيرة للقيام بعمليات ضد القوات الغازية المحتلة، حيث قاموا بإعداد القنابل الحارقة لمهاجمة القوات الغازية فوق الجسور، كما قام بإعداد هويات وهمية، ولكنه في أعقاب أسر أحد أعضاء المجموعة وهو إبراهيم البلوشي، وفي أثناء قيامه بتوزيع المنشورات ضد الاحتلال تفككت المجموعة وانتقل مع أسرته للإقامة في منطقة القرين.

كان ذلك في شهر أكتوبر، وشاء الله أن يكون المنزل الذي استقر فيه مجاوراً لمنزل «خلية القرين» فتم التعرف عليها.

يبدو أن الأبطال في الخلية شعروا بالثقة والأمان تجاه خالد الكندري، الذي عرف من أحاديثهم أنهم يريدون دفن جثة أحد ضباط الجيش الغازي، وأعلن خالد عن استعداده للقيام بذلك، وقد أكد أنه سبق له أن دفن بعض جثث أفراد القوات الغازية الذين

قتلهم أفراد مجموعة المقاومة التي كان هو أحد عناصرها في منطقة الرقة.

وهكذا تلقائياً أصبح خالد أحد أفراد خلية القرين، وكان يقوم بتوزيع المياه على الأهالي في المنطقة مجاناً، ولكنه بعد ذلك اضطر إلى توفير مستلزمات الحياة في تلك الأيام.

تلك كانت قصة الأخوين حسين غلوم وخالد الكندري في خلية القرين.. وقد أثبتا جدارتهما ضمن رجال المقاومة الأبطال. وقد اشتد الإعجاب بدورهما البطولي في ذلك.

«إن أزمة الغزو برغم مرارتها فقد أثبتت مدى توحد أهل الكويت وترابطهم معاً.. تلك هي الأزمات تداهمنا جميعاً، ولكننا نظل معاً قلباً وفكراً وعاطفة..

الفصل السادس عشر

(هروب الفئران)

طريقة التعارف بين «رفاق الراية» كانت تتم من خلال الاشتراك معاً في المقاومة، أو ربما بمحض المصادفة بين الرفاق. حيث أنهم توحدوا من أجل غاية واحدة وقرروا معاً التحدي والمقاومة والنضال. إنهم جميعاً يتحركون من أجل الحرية وتحرير الأرض من هذا الغزو.

ولقد تلاشت بينهم الفروق الاجتماعية وقرروا الاستمرار في الكفاح من دون منافع ذاتية أو شخصية إلا من أجل وطنهم الكويت. يجلسون معاً.. يخططون معاً.. يأكلون معاً ويشعرون بالألم معاً.. رجال يحملون أرواحهم على راحتهم ويتقدمون إلى الصفوف الأولى من دون تراجع.

كنت أشعر بالفخر والحب العميق لهذه الظواهر الرائعة، التي حققت وحدة وتضامناً وتعاوناً وتلاحماً شديداً بين أبناء الكويت.

في هذه الأثناء اشتدت هجمات القوات الغازية على البيوت الآمنة حيث تتسلل إلى الداخل بحثاً عن الأموال والذهب والحلي، أو تحمل بعض الأجهزة الكهربائية وتدعي أنهم يبحثون عن أحد أفراد المقاومة.

وفي مواجهة ذلك ظهرت عمليات فدائية قامت بها مجموعات من خلايا «رفاق الراية» بجانب بعض الأبطال الكويتيين الذين يضحون بأرواحهم من أجل الوطن.

في الساعات الأولى من صباح يوم ١٩٩١/٢/٢٤م شعرنا بازدياد حركة القوات العراقية بالسيارات والمدرعات في محاولات للهروب.

وحقاً غمرنا الفرح، إنهم يهربون مذعورين كالأرانب والفئران، إنهم خائفون من الحرب البرية، وتحدثنا معاً في أمر هروبهم.. كنا قد جلسنا أنا ويوسف خضير وعامر العنزي، ومشعل المطيري، وأحمد جابر، وحازم جابر، ومحمد يوسف كريم، وبدر سويدان. وكذلك جاسم محمد علي، وعبدالله مندني، ومحمد عثمان شايع، ومبارك صفر، وخليل البلوشي، وخالد الكندري، وحسين غلوم، وكذلك سامي ابن قائد الراية وطلال الهزاع.

كنا نتحدث عن هؤلاء الخونة الذين يهربون ويحملون معهم ملابس وأجهزة تكييف وتلفزيونات، وغير ذلك من الأشياء التي اغتصبوها.

ولكن... ماذا حدث في يوم ١٩٩١/٢/٢٤م فلنتابع المشاهد منذ الساعة الخامسة صباحاً أي بعد ساعات من بدء الحرب البرية حيث توجه الجميع إلى المقر، وأمضوا ليلتهم في منزل مقابل له وبرغم خطورة الوضع إلا أن «رفاق الراية» كانوا يرتدون (الصديري) الخاص وقد كتب عليه من الخلف «قوة الكويت».

وفي المقر بدأ الأبطال في إعداد السلاح والذخيرة على أساس أن الحرب البرية قد تؤدي إلى المواجهة المسلحة مع القوات العراقية.

في ذلك الوقت اضطر حازم جابر، وبدر سويدان إلى الخروج من

المقـر إلى منزل آخـر مـجـاور لجلب أحـذية عـسكرية، وفي أثناء عودتهما إلى المقر صادفا القائد ومحمد يوسف يسيران في اتجاه منزل نايف أحمـد الذي يقع خلف المقر مـبـاشرة، وخلف منزل بدر العيدان لأخذ مفتاح السيارة من المقر لإفراغ الأسلحة منها.

ولكن القائد وجد أنه من الأفضل أن تتم مراقبة الطريق، ولذلك طلب من حازم جابر وبدر السويدان مراقبة الشارع بحيث يقف أحدهما عن يمين الشارع والثاني عن يساره إلى حين خروجه هو ومحمد يوسف من منزل نايف إلى المقر.

وفي الساعة السابعة صباحاً وقف حازم وبدر، وكانا يحملان سلاحهما وبعض القنابل اليدوية، وبعد لحظات من دخول القائد ومحمد يوسف إلى منزل نايف، أخبرهما حازم وبدر بظهور سيارة الاستخبارات العراقية بطراز شفر بيضاء، فطلب منهما القائد الاستمرار في المراقبة.

في تلك الأثناء كانت منطقة القرين تخضع لحملة تفتيش وكانت القوات الغازية تقوم بأسر الكويتيين بشكل عشوائي تعسفي.

فقد كانت في حال شديدة من التوتر والارتباك لاسيما وأن الحرب البرية كانت مفاجئة لتلك القوات في الكويت والعراق.

لم يكن «رفاق الراية» وخلية «القرين» على علم بتلك الحملة التفتيشية، فلم يكن أمام حازم جابر وبدر سويدان غير الاحتماء خلف سيارة من غير سائق تقف بالقرب من المنزل المجوار من منزل نايف الذي يقع خلف منزل بدر العيدان والمقر. في تلك اللحظات

توجه ضابطان نحو منزل بدر ثم تحولا إلى جهة محول للكهرباء فكانت المفاجأة...

لأن المواجهة لم تخطر على بالهما، ولا حتى إلى حازم وبدر لأنهما يريدان الانتقال إلى الحي الآخر.

ولكن شاءت الأقدار أن تتم المواجهة المحدودة حيث تمكن القائد ومحمد يوسف من صعود ربوة رمل ملاصقة لسور «المقر» وقفزا إلى الداخل.

أصبح الموقف بالنسبة لحازم وبدر في غاية الخطورة حين صرخ عليهم أحد الضباط قائلاً تعالا هنا.

فحاول حازم إطلاق النار عليه ولكن تعطل سلاحه فقام بدر بإطلاق النار عليه..

في تلك اللحظات الصعبة الحرجة أسرع إلى حازم وبدر إبراهيم صفر، وخالد الكندري، ويوسف خضير ومعهم محمد يوسف وعامر العنزي الذي تمكن من قتل أحد الضابطين الذين توجها مع حازم وبدر.. وألقي القبض على أحد الأشخاص كان يحمل بطاقة مدنية كويتية مزورة ولكنه عراقي.

وفي هذه اللحظات الحرجة اقترح يوسف خضير على الرفاق أن يتوزعوا بين المنازل، فدخل بدر السويدان إلى أحد المنازل ولم يشارك في المعركة. بينما أسرع يوسف خضير وحازم جابر إلى المقر بوساطة ربوة رمل.

وهنا طلب القائد من حازم الإسراع بدخول المنزل المجاور، وهو منزل بدر العيدان لمساندة أفراد خلية القرين، الذين انتقلوا بناء على طلب قائد الرفاق من المقر إلى هذا المنزل، فرحب بهم بدر العيدان، وقد دخلوا بعد أول طلقة انطلقت من سلاح محمد يوسف. وبعد لحظات من وصول قائد الرفاق إلى منزل بدر العيدان، توقفت سيارة الاستخبارات العراقية وخلفها باص بداخله أسرى كويتيون.

طرق الجندي الباب فالتزم الشباب الصمت، وكان في المقر رفاق الراية والقائد. وعندما لم يسمع الجندي الرد أمره الضابط بأن يتسلق السور إلى داخل المنزل، عندئذ رأى قائد الرفاق أنه لا مفر من إطلاق النار على الجندي، ولكن بعطل طارئ لم تنطلق الرصاصة، فبادر محمد يوسف بإطلاق النار على الجندي فقتله، وكانت الساعة قد بلغت الثامنة صباحاً يوم ١٩٩١/١/٢٤م، وكانت هذه الطلقة هي بداية معركة القرين بين رفاق الراية وخلية القرين ضد القوات الغازية.

وقد طلب قائد الرفاق باللاسلكي من الشباب في المنزلين التحرك بسرعة، وأن يتفرقوا بين المنازل الخمسة الأخرى المجاورة للمقر لكيلا يركز العدو نيرانه على المقر.

ولكن عندما قام جاسم بمحاولة الخروج من منزل بدر العيدان أصيب برصاصة في فخذه فقام ابن القائد بسحبه من جانب منزل بدر العيدان، وأدخله إلى المقر. أما مبارك فقد أصيب بطلقة في بطنه اخترقت ظهره وقد سحبه طلال الهزاع إلى داخل منزل بدر العيدان.

لقد كان هدف الشبان الخروج من الباب الخلفي ثم العبور إلى الشارع الداخلي، ومنه إلى المنازل المحيطة المجاورة، وكانت الساعة ٨،١٠ صباحاً

وخلال تلك اللحظات الصعبة كان يقف في صالة الدور الأول وعلى كتفه سلاح الاستقلال البطل عامر العنزي.

وكان هذا أكبر وأقوى سلاح يملكه «رفاق الراية» بينما توزع أفرادها بين الغرف وهم: سامي ابن القائد، والقائد ويوسف خضير، ومحمد عثمان شايع، ومحمد يوسف.

تصدى الجميع للعدو بإطلاق الرصاص، وكان القائد يتجول بين الغرف ويوزع الذخيرة ويوجه الرفاق بينما كان عدد القوات المحيطة بالمنزل يتزايد حيث وصل عددها إلى عدة مئات، كانوا في المنازل المقابلة لمنزل العجمي، ويطلقون النيران في الهواء لمزيد من الإمدادات، وبخاصة عندما وجدوا صعوبة في السيطرة على الموقف، وكان تركيز نيرانهم على «المقر» وذلك لأن إطلاق النيران كان ينطلق بكثافة من هذا المنزل. وبسرعة تضاعف عدد أفراد الحرس الجمهوري وبخاصة في المواقع القريبة من مكان القتال، وتمركزت في المنازل المجاورة.

واستمروا في إطلاق النيران بكثافة طلباً للإمداد ورداً على نيرانهم، وتدارك الرفاق هذه الحيلة فطلب القائد منهم تخفيف إطلاق النار لتوفير الذخيرة. ليتمكنوا من مواصلة المقاومة والصمود.

أبلى جميع الرفاق بلاءً حسناً في المقاومة، وكان عامر العنزي يحمل أقوى سلاح موجهاً نيرانه من شباك صالة الدور الأول بحذر وتمكن من قتل كثير من جنود العدو.

وعندما أيقن القائد خطورة الموقف خاطب الرفاق الذين كانوا معه في المقر بقوله:

- من يرد منكم الحياة وإنقاذ نفسه فعليه أن يلقي السلاح ويخرج وسأقوم بالتغطية حماية له. أما من يرد الشهادة فعليه البقاء.

وبعد كلمته أصر كل الرفاق على الاستمرار في المقاومة والصمود، إذن، لابد من رفع راية الوطن قبل الاستشهاد، ولذلك طلب القائد من عامر العنزي ويوسف خضير رفع علم الكويت فقاما يهتفان:

الله أكبر - ورفعا علم الكويت فوق السطح. وارتفع علم الكويت خفاقاً أمام أعين الأعداء عند الساعة الحادية عشرة، وبرغم كثافة نيران القوات الغازية الموجهة نحو الأبطال، فإنهم ظلوا يواصلون المقاومة.. وارتفع علم الكويت.

الفصل السابع عشر

(معركة القرين)

ارتفعت راية الكويت

كان الرفاق يطلقون الرصاص على الجنود الذين يحاصرون المكان.. حاول الجنود إطلاق الرصاص على راية الكويت ولكنهم فشلوا في اسقاط الراية.

ارتفعت الراية عالياً بدم الرجال.. بقلوب الرجال.. أبناء وطني الأوفياء.. كنت أشاهد ملحمة رائعة في التضحية والفداء، وتذكرت أيام الماضي العريق.

تذكرت هؤلاء الذين سقطوا من أجل الكويت، لقد وهبوا حياتهم من أجل الوطن. رجال عاهدوا الله على الجهاد والاستمرار في الدفاع عن أرض الكويت، وتراءت أمامي صور هذا الكفاح وهم يتحدون الغزاة.

معارك شرسة.. ومواقف عصيبة عاشها الأجداد، وضربوا لنا الأمثلة الرائعة في النضال دفاعاً عن الوطن. وفي كل هذه المعارك ظلت راية الكويت تخفق في سماء الوطن.

ذهب الغزاة وظلت الراية مرتفعة.. هكذا يقول التاريخ .. دائماً.

لم تكن المعركة متكافئة بين جيش معد إعداداً مهنياً ومسلحاً بترسانة فتاكة وبين مجموعة صغيرة من الرجال بأسلحة متواضعة تتصدى لهذا الجيش المكون من أرتال عدوانية تناصر الباطل

والرجال يدافعون عن حق، إنهم أبطال شجعان آمنوا بحق بلادهم وقضيتهم فوقفوا كالبنيان المرصوص لا تهزه الكثرة ولا السلاح، ولأنهم يطمحون إلى الشهادة التي تغني عن كل شيء.. ويقوي عزيمتهم حقهم المشروع في الدفاع عن أرضهم وعرضهم وحرية وطنهم.

لحظات رائعة تدل على عمق الانتماء والشجاعة والرجولة من هؤلاء الرجال أبناء الكويت الأبطال، كان عامر يحمل سلاح الاستقلال ويطلق النار نحو القوات الغازية من شباك صالة الدور الأول، ويحصد منهم ما شاء الله له أن يحصد.

لكن القوات الغازية ركزت عليه سلاح الآر بي جي، وبعد عدة قذائف أصابته قذيفة خارقة حارقة بترت يده اليسرى وأطارت بعض شعر رأسه.

في الساعة الحادية عشرة والنصف حاولت القوات الغازية إشعال النار في المنزل، وذلك بإلقاء طلقات نارية وقذائف حارقة، إلا أن الرفاق كانوا يسارعون إلى إخمادها. وبسقوط عامر فقد سقط أكبر وأقوى سلاح كان يمتلكه «رفاق الراية».. أدخلهم هذا في مرحلة حرجة، لكن كان لابد من المقاومة والصمود، وكان كل من أصيب يحاول أن يتحمل ويستمر. كنت أشعر بالحزن على جاسم الذي أصيبت فخذه، وعامر الذي بترت يده اليسرى واقتلع بعض شعر رأسه، ومبارك الذي أصيب بطلقة اخترقت ظهره، وكذلك أصيب محمد عثمان شايع بطلقة في ذقنه أفقدته وعيه، وتم إسعافه بسكب الماء على وجهه، فنهض ولف الغترة على مكان الإصابة وواصل المقاومة.

وبسبب كثافة نيران العدو الموجهة نحو المقر بالذات، استقر الرأي على الانتقال إلى المنزل الثاني وهو منزل بدر العيدان، فهناك سلاح آخر، حيث كانت المقاومة في المنزل الثاني مستمرة، وكان أفراد الخلية ورفاق الراية هناك يطلقون الطلقات بين فترة وأخرى. وقد أبدى عبدالله مندني شجاعة ومهارة في إلقاء القنابل على القوات الغازية وإلحاق الخسائر بهم، وكذلك فعل إبراهيم صفر الذي كشف عن شجاعة نادرة في القتال ضد الجنود الغزاة.

وعندما استقر رأي الرفاق في المقر على الانتقال إلى المنزل الآخر، صاح القائد طالباً من رفاقه في المنزل الآخر عبر اللاسلكي (في بيت بدر العيدان) أن يفتحوا الباب الجانبي، وبسرعة أدخل حازم جابر وخالد الكندري قطعة سلاح.

فتح الباب لرفاق الراية، كان أول من دخل يوسف خضير وكانت الساعة تقترب من الثانية عشرة ظهراً، وتوالى دخول الرفاق من المقر إلى منزل بدر العيدان، وقد فعل الرفاق ذلك بالقفز على سيارة القائد الواقفة هناك في ساحة المقر، ومنها إلى الحائط ثم إلى سقف سيارة بدر ثم إلى داخل المنزل.

كان جاسم محمد علي مصاباً لذلك فقد ظل في المقر، ولم يتمكن الرفاق من نقله معهم بسبب إصابته البالغة وعدم قدرته على الحركة.

كان ينزف بشدة ويتألم، ولكنه طلب من الرفاق وضع غطاء عليه لأنه يشعر بالبرد، فالطقس كان بارداً بالإضافة إلى أنه كان ينزف بغزارة.

قام محمد يوسف بوضع (البشت) عليه، وقد أصر القائد على أن يكون هو آخر الأشخاص الذين ينتقلون إلى منزل العيدان.

كنت حزيناً على بعض الرفاق المصابين، ولكنني أطلق النار من الصالة في الدول الأول، وكذلك فعل حازم جابر الذي أخطأته رصاصة أصابت الغترة فوق رأسه. كما قام خليل بنقل سلاح الاستقلال الموجود في منزل بدر العيدان إلى الدور الأول، وتجمع الرفاق في إحدى غرف الدور الأول التي تطل على الشارع، بينما ظل في الدور الأرضي مبارك صفر يتألم وينزف منذ الدقائق الأولى للمعركة، وكان إبراهيم صفر يحاول إسعافه بالتعاون مع عبدالله مندني وبدر العيدان.

وعندما اجتمع كل الرفاق وأعضاء الخلية في منزل بدر العيدان طلب منهم القائد عدم إطلاق النار لكي يتوهم العدو بأن ذخيرتنا نفدت أو أننا قد استشهدنا، فالتزم الرفاق بتعليمات القائد مدة نصف ساعة، ولذلك بدأت القوات الغازية الاستعداد للاقتحام.

اقترب الجنود من منزل بدر العيدان، ولكن الرفاق باغتوهم بإلقاء قنبلة عليهم أعاقت تقدمهم، ثم كررت قوات العدو المحاولة مرات عدة من دون جدوى.

واستمرت المقاومة الكويتية الباسلة نشطة مما أثار جنون الغزاة وقرروا خوض الحرب، وكان عليهم أن يستخدموا الدبابات.

في تلك الأثناء كانت الأسلحة متوافرة لدى الرفاق إلا أنهم بعد القتال بضع ساعات بدأ ينتابهم الاضطراب والإجهاد.

كان الرفاق يريدون الاستمرار في المقاومة ولكن إلى متى!! وبخاصة وأن الإمدادات كانت تصل إلى القوات الغازية التي تحاصرهم.. ثم بدأت الدبابات في الظهور والاقتراب من المنزل، وتقدمت الدبابات من ثلاث جهات.

بالإضافة إلى مدفع هاون من الخلف، بدأت الدبابات في إطلاق النار، على سطح المنزل، وقد أيقن الرفاق أن الهدف هو هدم المنزل عليهم ولكن قوة البناء ومتانته حالت دون تحقيق هدفهم بسهولة.

برغم أن القذائف كانت تنهال على المنزل إلا أن المقاومة استمرت، وقد أصابت إحدى القذائف الصالة فأسقطت بعض المعلقات التي تحطمت. كما أسقطت ديكور الصالة فأصيب الرفاق بالارتباك لأنهم لا يمتلكون سلاحاً يعادل الدبابة، فكانوا يحاولون تجنب القذائف بالتنقل من عمود إلى زاوية، ومن غرفة إلى أخرى.

بعد تدهور الوضع قررت أنا وسامي وطلال الانتقال إلى المنزل الآخر «المقر». وذلك لأن قذائف الدبابات الغازية كانت موجهة صوب منزل بدر العيدان، حيث كان يقيم كل الرفاق وخلية القرين ما عدا عامر الذي استشهد، والجريح جاسم محمد علي، خرجنا نحن الثلاثة في الساعة الخامسة والنصف مساء بعد أن أحدثت القذائف فتحات في المنزل.

تمكنا نحن الثلاثة من دخول «المقر» من الجانب الآخر حيث كان جاسم يتألم وينزف بغزارة ويردد بأن زوجته سوف تتجب توأمين وأنه لن يراهما. وقد ابيضت شفتاه فأعطيناه جرعة ماء ووضعنا عليه الغطاء.

وأصيب سامي ابن القائد ببعض الشظايا في وجهه.

قررنا نحن الثلاثة الخروج من «المقر» أيضاً عن طريق نافذة الدور الأول الذي يطل على أحد المنازل المجاورة. وكان لابد من الخروج مهما كانت النتائج، فالاستشهاد في أثناء المحاولة أهون بكثير من السقوط في أيدي القوات الغازية.

اتفقنا نحن الثلاثة على أن يتقدمنا طلال يتبعه سامي وأنا في المؤخرة. وبالفعل تمكن طلال من القفز برغم إطلاق النار المتواصل عليه من كل اتجاه، وألقى بنفسه على ملحق المنزل المجاور وهو منزل السيد عادل الدليمي الذي يقع خلف المقر، ولم يكن طلال يتوقع أنه سيجد سكان المنزل الذين رحبوا به فاستبدل ملابسه لكن سرعان ما اقتحم الجنود المنزل واعتقلوا الشبان ومن بينهم طلال.

لم تكن لديهم معرفة بأنه أحد أفراد المقاومة ومن المشاركين في المعركة، وبالتالي فإن أسره وقع في إطار الحملة التي كانت تقوم بها قوات العدو.

لكن طلال أنكر معرفته بما حدث، وذلك عندما سأله الجنود إن كان الأشخاص داخل المنزل من الأمريكان أم لا؟! وقد اقتيد طلال مع العديد من الشبان الكويتيين إلى مخفر صباح السالم.

أما بالنسبة لي وسامي ابن القائد فقد وجدنا أن محاولة الخروج تشكل خطورة بالغة، لذلك صعدنا إلى المخزن العلوي في الدور الأول في المقر.

أما منزل بدر العيدان فقد تصدعت بعض جدرانه قبل خروجنا

منه أنا وسامي وطلال بسبب قذائف الدبابات. وأصبحت المواجهة صعبة جداً حيث أحدثت تلك القذائف المتتالية بشدة فتحات في المنزل.

حاول أربعة جنود اقتحام منزل بدر من الباب الخلفي، لكن إبراهيم صفر أطلق نيران سلاحه صوبهم. في اللحظة نفسها أصابت الجنود الغازية قذيفة طائشة فسقطوا صرعى وأصبح الوضع في غاية الخطورة.

كان الرفاق لا يريدون الاستسلام تجمعوا في الغرفة المجاورة للمطبخ ولكن أصابتها قذيفة، فاتجهوا نحو صالة الدور الأول وأغلقوا الباب عليهم وكانت الساعة تشير إلى الثانية والنصف ظهراً.

أما محمد يوسف فقد صعد إلى المخزن العلوي في الدور الأرضي، بينما كان يوسف خضير يحاول عرقلة تقدم القوات بإلقاء القنابل عليهم.

في تلك اللحظات أدرك القائد أن الشهادة واقعة لا محالة، وكان معه رشاش ألماني (هيكلر).

كان الرفاق خالد الكندري، وحسين غلوم، وخليل خيرالله، ومحمد عثمان، وإبراهيم مبارك صفر، وعبدالله مندني، وبدر العيدان يتجمعون تحت الدرج. وهؤلاء من أفراد خلية القرين ما عدا بدر العيدان. وقد حاول القائد ويوسف خضير، وعبدالله مندني، ومعه حازم جابر، الصعود إلى الطابق الأول وإلقاء القنابل على القوات الغازية، لكن الفتحات التي أحدثتها قذائف الدبابات

العراقية في الحوائط كانت تكشف كل من يحاول الصعود.

في تلك اللحظات.. كان في المنزل من الرفاق محمد يوسف، وكان في المخزن العلوي بالإضافة إلى القائد ويوسف خضير وحازم جابر الذي لم يكن قد صعد إلى المخزن العلوي عند محمد يوسف بعد، بالإضافة إليّ أنا وسامي وطلال.

بعد ذلك توقف إطلاق النار تقريباً، ولكن كلما حاول الجنود الاقتراب من المنزل، أطلق الرفاق عليهم نيران أسلحتهم.

أمام هذا الوضع المتدهور وبينما كانت القوات الغازية تحاول الاقتحام صمم القائد على الصعود إلى السطح. وعلى الرغم من أن محمد يوسف وقبل أن يصعد إلى المخزن العلوي كان قد صعد إلى الدرج وأوضح للقائد خطورة الصعود، لكنه أصر على تنفيذ رأيه، وطلب من الرفاق إلقاء القنابل للتغطية عليه.

وبعد أن ودعنا بابتسامته اجتاز الفتحة وصعد إلى السطح وبدأ بإطلاق النار من سلاحه الرشاش، كما ألقى أيضاً القنابل اليدوية على القوات الغازية ولكنهم قصفوا السطح باتجاه القائد، وسكت صوت إطلاق النار من سلاح القائد حيث كانت الساعة الرابعة عصراً.

أمسينا من دون قائد يوجهنا، وهذا كان آخر قائد بعد خالد الشطي وبهاويد وكان آخر القادة سيد هادي.

الفصل الثامن عشر

(مقاومة.. واقتحام)

أما يوسف خضير فقد ابتسم وصعد إلى المخزن العلوي في الدور الأول وبيده قنبلتان وبعض السجائر، وكما يقول حازم جابر إنه شعر بأن ابتسامة يوسف - ومن قبله ابتسامة القائد سيد هادي - كانتا ابتسامتي وداع.

وللأسف بعدما فقدنا القيادة، وجه جنود الاحتلال أربع قذائف نحو المخزن فأصيب يوسف واستشهد. وكانت الساعة تشير إلى الخامسة والنصف، وقد خيم الظلام على المكان.

فقرر حازم جابر الصعود هو الآخر إلى المخزن بجوار محمد يوسف وترك سلاحه عند الرفاق تحت الدرج وصعد، بينما كانت القذائف تتساقط على المنزل وملحقه. وقبل السادسة مساء توقف القصف المدفعي، وطلب قائد القوات الغازية من جنوده اقتحام المنزل ولكنهم ترددوا بسبب خوفهم الشديد ولكنه صاح فيهم:

- هذا أمر عسكري.

وعندما بدأ الاقتحام بدخولهم الساحة الأمامية ألقوا قنابل يدوية في الغرفة الأولى، ثم الثانية أي أنهم ألقوا قنابل تطهيرية قبل الاقتحام الفعلي.

الاقتحام الصدامي بدأ أولاً للمنزل والمقر حيث كان الجريح جاسم محمد علي يتألم، وسامي ابن القائد وأنا في المخزن العلوي، وقد وقف أحد الجنود بالقرب من المخزن يطلب الإذن من الضابط

بأن يلقي قنبلة، ولكن في اللحظة نفسها أطلق إبراهيم صفر النار من منزل بدر العيدان، فأثار انتباه الجنود الذين قاموا بسحب جاسم برغم آلامه الشديدة ونزيفه، وسرقوا أجهزة اللاسلكي وخرجوا وكان قائدهم يقول:

- عندنا "خوش عشاء"، أي عشاء طيب.

وكان القائد يشعر بالفخر لأنه استطاع أن يحكم قبضته على مجموعة الرفاق الأبطال. كان الجنود الغازون قد أصابهم اليأس الشديد في تلك الأيام، فكانت لهم أساليب تدل على الحماقة، حيث كان بطشهم برهاناً على قرب اندحارهم، والحرب البرية قد عمقت مشاعر الخوف في قلوبهم.

لذلك كانوا يطلقون النار علينا بوحشية وخسة ونحن نتحداهم بإطلاق الرصاص، ويسقط من بيننا رجال ينزفون، ولكننا لم نتوقف ولم نتراجع ولم نستسلم إطلاقاً.

كنت وأنا أشاهد هذه الملحمة النضالية وأسطورة الكفاح، في تلك اللحظات الحاسمة أتذكر الشعوب التي ناضلت من أجل حريتها واستقلالها وكرامتها. وأهتف من الأعماق:

ما أجمل الموت من أجلك يا كويت!!

وما أروع الشهادة على أرضك يا كويت!!

وعودة إلى منزل بدر العيدان.. الذي اقتحمته القوات الغازية وطلب أحد الجنود الأذن من الضابط بأن يلقي قنبلة. وكان يقف تحت المخزن العلوي مباشرة. ولكن مبارك صفر تألم في تلك اللحظة بصوت عال فانتبه الجنود إلى أماكن وجود الرفاق الذين

عزموا على القيام بعملية استشهادية، ولكن الجنود سيطروا عليهم واقتادوهم وهم بدر العيدان، وإبراهيم صفر، وخالد الكندري، وحسين غلوم، وعبدالله مندني، ومبارك صفر، ومحمد عثمان شايع، وخليل البلوشي.

وفي أثناء ذلك.. حاول مبارك إقناع الجنود بأنه ينزف بسبب جراحه فطلبوا من إبراهيم صفر حمله، ثم قاموا بسحبه من دون مراعاة لنزيفه وآلامه وهم يصرخون ويسألون عن الجنود الأمريكان.

انتهت المعركة بأسر رفاق الراية وخلية القرين واستشهاد ثلاثة منهم القائد وعامر العنزي ويوسف خضير.

تمكنت أنا وسامي ابن القائد من النجاة حيث خرجنا من المخزن العلوي الساعة العاشرة مساء.

وقد غادر كل من حازم جابر ومحمد يوسف المخزن العلوي في منزل بدر العيدان الساعة الثامنة والنصف مساء.

لقد نجونا بأرواحنا من العدو الغاشم لكننا حزنا على الأسرى الذين اقتادهم الغازون. كما أن قلوبنا كانت تفيض بذكرى عطرة للشهداء الثلاثة.

كانت معركة عانيت خلالها صوراً من كفاح الرفاق الذين كانوا لا يهابون الموت حتى ثووا في ثرى الوطن شهداء..

وإن أنسى فلن أنسى يوسف خضير وهو ينزف والرصاصات قد اخترقت جسده وهو يهمس:

- ادفنوا قلبي في ثرى الكويت.. أعيش وأموت في أرض الكويت.

وأغمض عينيه إلى الأبد:

الدماء تنزف من جسده وتنسج سجادة حمراء.. لم يكن يوسف خضير مجرد فرد من أفراد المقاومة، ولكن كان روحاً مناضلة وصدقاً ومثابرة وبعزيمة صادقة. كما كان كل الرفاق بهذه الصورة الرائعة كذلك..

إنهم شهداء الكويت وأبطالها.. سجلوا في صفحات التاريخ صوراً من البطولة لا تنسى أبداً..

اقتيد الرفاق من تحت الدرج إلى مخفر صباح السالم، وهناك كان طلال الهزاع أحد أفراد خلية القرين ونايف عبيد الأحمد أحد «رفاق الراية» الذي لم يشترك في المعركة، ولكن تم أسره من منزله.

كان أبطال معركة القرين في حال إرهاق شديد عندما أدخلوا إلى المخفر وبينهم جرحى هم جاسم محمد علي ومبارك صفر ومحمد عثمان وعبدالله مندني وفق وثيقة من وثائق الاحتلال الصدامي ضمت أسماء هؤلاء وقد أضيف إليهم اسم آخر هو حسين علي والوثيقة عبارة عن رسالة مرفقة مع ملفات الرفاق.

وفي المخفر.. كان إبراهيم صفر يقوم على رعاية شقيقه مبارك الذي وضع فوق نقالة، وكان يبلل قطعة ورق في الماء ثم يضعها فوق فم مبارك، وكان إبراهيم في الوقت نفسه يحمل في يده صندوقاً وقد امتد منه أنبوب أدخله العدو في بطنه، وعندما سأله أحد الجنود عن هذا الصندوق أجاب إنه لسحب الدم من جسمي.

الفصل التاسع عشر

(شهداء تحت الراية)

يا لها من وحشية!! كان يتحرك في غرفة المخفر ويردد:

- أريد أن أموت.. أريد أن أموت بدلاً من الأسر.

قام جنود الاحتلال بتعذيبهم، وكانت آثار التعذيب تبدو بوضوح على بعضهم في تلك اللحظات مثل عثمان شايع الذي أنكر اشتراك طلال الهزاع في المعركة. وذلك عندما سأله الضابط في أثناء التحقيق، وكذلك الحال بالنسبة لبدر العيدان الذي أنكر معرفته بطلال الهزاع ونايف عبيد الأحمد.

قال طلال في أثناء التحقيق إنه لا علم له بما يجري، وأنه كان في زيارة لابن خاله قبل يوم المعركة، ولذلك لم يتمكن من مغادرة المنزل، وكانت إرادة الله أن يصدق الجنود هذه الحجة.

وفي يوم ١٩٩١/٢/٢٦م توجه حازم جابر ومحمد يوسف إلى المقر، ولكنهم لم يجدوا جثة الشهيد عامر العنزي، علما بأن أحد الشبان حملها إلى المستشفى ثم دفنها في المقبرة.

وصعد حازم ومحمد إلى المخزن وهناك شاهدا جثة الشهيد يوسف خضير، وقد أصابت الطلقة نصف وجهه وبيده قنبلتان، والنصف الآخر من وجهه يبتسم. وفوق السطح شاهدا جثة الشهيد سيد هادي قائد «رفاق الراية» وقد سقط على بطنه وبترت كفه، ولاحظا عندما قلبا الجثة أن الابتسامة تعلو وجهه.

وبعد ذلك وفي أثناء سيرهما وعندما اقتربا من التل الرملي في قطاع (ج-١) اكتشفا وجود جثة الشهيد جاسم محمد علي وقد أطلقت على فمه النار وأحدثت فتحة كبيرة في عنقه وربطت يداه بسلك حديدي، وتكسوه ملابس ذات لون أخضر مثل التي تستخدم لإجراء العمليات الجراحية.

كما شاهدا جثة الشهيد محمد عثمان شايع وكذلك جثة الشهيد مبارك صفر وقد أطلق النار عليهما، وكان على الشهيد مبارك أيضاً ملابس لونها أخضر مثل تلك التي على جثة الشهيد جاسم.

ويقول حازم:

- كانت إلى جانبهم أيضاً جثة الشهيد حسين غلوم وآثار طلقات الرصاص في رأسه وبطنه وصدره، وإلى جانبه جثة أخيه لأمه خالد الكندري. وهناك أيضاً جثة خليل البلوشي والشهيد إبراهيم صفر الذي ظهرت آثار التعذيب بوضوح على جثته ووجهه وكانت ملقاة بجانب أنبوب لسحب الدم.

استخدمت في تعذيبهم أسلاك حديدية أحدثت الكثير من الثقوب في أجسادهم كما تم حرق وجه الشهيد خيرالله بالأكسجين، وكذلك الحال بالنسبة لوجه الشهيد بدر العيدان.

تجمع أهالي المنطقة وبقية رفاق الراية وخلية القرين، وتم نقل الجثث إلى المستشفى. وذهب حازم جابر ومشعل المطيري ومحمد يوسف وأحمد جابر إلى «المقر»، وقد حملوا معهم جثتي الشهيدين:

القائد سيد هادي العلوي ويوسف خضير إلى مستشفى مبارك في سيارة لأحد سكان المنطقة، ورافقتهما مجموعة أخرى من الشبان ودفنوا الجثث في مقبرة الرقة.

لقد استشهد هؤلاء جميعاً من أجل الله وفداء للكويت، لكي تظل راية الكويت مرفوعة خفاقة أبداً استشهد بعضهم يوم ١٩٩١/٢/٢٤م وآخرون يوم ١٩٩١/٢/٢٥م بعد أن أوقعوا الكثير من القتلى في صفوف القوات الغازية ولم يستسلموا.

واستشهد قائد الرفاق وفوقه الراية عالية، إنهم شهداء الكويت الأبرار.. الذين سطروا أروع صفحات البطولة فاستحقوا الشهادة والخلود في سبيل الله ومن أجل الوطن.

(تمت)

صوت المؤلف

رفاق الراية.. أحداث واقعية عاشتها الكويت خلال فترة تعد من أقسى المحن التي واجهت وطننا الغالي الكويت والأمة العربية.

لم يكن أمام رجال الكويت بد، إما المقاومة أو الشهادة. لقد شاهدوا كيف كانت الرصاصات الغادرة تغتال الأطفال الأبرياء، وكيف تساق النساء إلى السجون ويساق الشبان إلى التعذيب والاعتقال.

وتهدمت المنازل وسلبت المتاجر والبنوك والأسواق المركزية. في ليلة واحدة وطني يسلب.. وشعبي يباد..

لم يكن هناك من مفر إلا المقاومة والنضال من أجل حرية الكويت. فليظل علم الكويت خفاقاً في سمائها رمزاً للحب.. والعدل.. والحرية..

من هنا كانت أحداث هذه الرواية.

الناشر